مدينة سلا في العصر الإسلامي

دراسة في التاريخ السياسي والحضاري

إعداد

دكتور

حمدي عبد المنعم محمد حسين

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية المساعد

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

Bibliotheca Alexandrina
0027647

مؤسسة شباب الجامعة

٤٠ ش الدكتور مصطفى مشرفة

ت ٤٨٣٩٤٧٢ - إسكندرية

مدينة سلا في العصر الإسلامي

دراسة في التاريخ السياسي والحضاري

إعداد

دكتور

حمدي عبد المنعم محمد حسين

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية المساعد

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٩٣

مؤسسة شباب الجامعة

٤٠ ش الدكتور مصطفى مشرفة

ت ٤٨٣٩٤٧٢ - اسكندرية

التاريخ السياسي لمدينة سلا

سلا من الفتح الإسلامى حتى عهد المرابطين

سلا SALÉ مدينة أزلية قديمة تقع على ساحل المحيط الأطلسى، كانت فى الأصل قرية بربرية صغيرة، يرجع بنائها إلى حوالى عام ١٥٠٠ق.م، وقد أنشأ بها القرطاجنيون متجراً عُرف فى عهدهم باسم سلفيسSilves، ثم احتلها الرومان فى مطلع القرن الأول الميلادى وسموها سلا - كولونيا. وكانت سلا تقع فى أقصى الحدود الجنوبية للمستعمرة الرومانية بالمغرب، وقد استمرت سلا مستعمرة رومانية مدة تقرب من الخمسمائة عام بلغت خلالها شأواً بعيداً من الازدهار(١)، ثم تضاءلت أهميتها عند ظهور الوندال ولكنها لم تلبث ان استعادت مجدها على طول العهد البيزنطى.(٢)

---

(١) بدأ اكتشاف الأطلال الرومانية بها منذ سنة ١٩٣٠م وأهمها الساحة العمومية وقوس النصر. ويبلغ طول سور الساحة العمومية خمسمائة متر فى عرض ثلاثمائة متر، كما كان لقوس النصر ثلاثة أبواب، كما اكتشفت بها آثار لبعض الطرق ومقبرة قديمة.

راجع: حركات (إبراهيم): المغرب عبر التاريخ، الجزء الأول، طبعة الدار البيضاء، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م، ص٧٣.

(٢) مؤلف مجهول: الاستبصار فى عجائب الامصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب والسودان، مؤلف فى القرن السادس الهجرى، تحقيق د. سعد زغلول عبد الحميد، مطبوعات جامعة الإسكندرية، ص ١٤٠، الحميرى.. (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجى): صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الاقطار، تحقيق ليفى بروفنسال، القاهرة، ١٩٣٧م، ص٣١٩. الوزان (الحسن بن محمد الفاسى المعروف بليون الافريقى)، وصف افريقية، الجزء الأول، ترجمة محمد حجى ومحمد الاخضر، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٢٠٧، ابن القاضى (احمد بن محمد المكناسى) "جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، الرباط، ١٩٧٣-١٩٧٤م، ق١، ص٢٠، حركات. المغرب عبر التاريخ، جـ١، ص٦٥، ٧٤، ٧٥؛ السويسى (عبد الله): تاريخ رباط الفتح، الرباط، ١٩٧٩م، ص٧٧.

ظلت سلا خاضعة للحكم البيزنطى إلى أن قام القائد عقبة بن نافع الفهرى بفتحها عام٦٢هـ (٦٨٢م) وأسلم أهلها على يديه ولكنهم ما لبثوا أن ارتدوا عقب مقتله فى تهودة(١) عام ٦٤هـ (٦٨٤م)(٢) ثم عادوا وأسلموا مرة ثانية عام ٩٠هـ (٧٠٩م) على يد القائد موسى بن نصير.(٣) ثم فتحها إدريس الأول عام ١٧٢هـ (٧٨٩م)(٤) وتـــداول

---

(١) تهودة بلدة صغيرة فى أرض الزاب، ويُعرف هذا المكان اليوم باسم سيدى عقبة، وهو واحة صغيرة بالقرب من بسكرة فى الجنوب من ولاية قسنطنية.

ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد): أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام. القسم الثالث الخاص بالمغرب وصقلية، تحقيق د. أحمد مختار العبادى والاستاذ محمد ابراهيم الكتانى، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٦٤، هامش(٢) ص٢، ٣.

(٢) ابن عذارى المراكشى (ابو عبد الله محمد): البيان المغرب فى أخبار الاندلس والمغرب. خمسة أجزاء، الثلاثة أجزاء الأولى تحقيق كولان وليفى بروفنسال، بيروت بدون تاريخ، والجزء الرابع خاص بتاريخ المرابطين، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٧م، والجزء الخامس أو قسم الموحدين، تحقيق محمد ابراهيم الكتانى، محمد بن تاويت، محمد زنيبر وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، ١٩٨٥م، جـ١، ص٢٧، ٢٨، ابن القاضى، جذوة الاقتباس، ق١، ص٢٠، سالم (السيد عبد العزيز) المغرب الكبير (العصر الإسلامى) طبعة الإسكندرية، ١٩٦٦، ص٢٢٦، ٢٢٧، السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص٧٨.

(٣) ابن عذارى، المصدر السابق، جـ١، ص٤٢، ابن القاضى، المصدر السابق، ق١، ص٢٠؛ سالم، المرجع السابق، ص٢٥٦، ٢٥٧؛ السويسى، المرجع السابق،ص٧٨.

(٤) هو إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب مؤسس دولة الأدارسة فى بلاد المغرب. وكان قد شارك فى الثورة التى قام بها العلويون فى الحجاز عام ١٦٩هـ (٧٨٦م) بزعامة الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب والتى انتهت بالفشل بعد أن أوقع بهم العباسيون فى موضع يسمى فخ بين مكة والمدينة المنورة أثناء موسم الحج من نفس العام. وقد نجا إدريس هذا من مذبحة فخ وفر إلى بلاد المغرب بصحبة أحد مواليه الذى اتصف بالشجاعة والعقل وهو راشد. وقد نزل إدريس بمدينة وليلى على زعيم قبيلة أوربة البربرية إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربى الذى أكرمه وأحسن وفادته وانتهى الأمر بمبايعة إدريس بالإمامة وذلك فى شهر رمضان عام ١٧٢هـ (فبراير عام ٧٨٩م) وتمكن إدريس من إقامة دولة قوية بالمغرب الأقصى.

ملكها بنوه من بعده.(١)

توفى إدريس بن إدريس بن عبد الله العلوى فى الثانى عشر من جمادى الثانية عام ٢١٣هـ (التاسع والعشرين من أغسطس عام ٨٢٨م) وخلفه على الإمامة ابنه محمد بعهد من أبيه إليه، وقد أوصته جدته كنزة أن يشرك إخوته معه فى سلطانه، فيقسم دولته إلى أعمال يتولاها إخوته(٢).

راجع: البكرى (أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز): المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب، نشر مكتبة المثنى ببغداد، بدون تاريخ، ص١١٨-٢٢٦، مؤلف مجهول، الاستبصار، ١٩٤-١٩٨، ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعى): الحلة السيراء، تحقيق د. حسين مؤنس، فى جزئين، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦٣، جـ١، ص٥١-٥٤، ابن أبى زرع (أبو الحسن على بن على الفاسى): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، طبعة الرباط، ١٩٧٣م، ص٦-٧٠؛ ابن عذارى، البيان المغرب، جـ١، ص٢١٠-٢١٦؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، القسم الثالث، ص١٩٢-٢١٠؛ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد). العبروديوان المبتدأ والخبر، بيروت، ١٩٦٥م، جـ٤، ص٨-٣٢؛ سالم، المغرب الكبير، ص٤٦٥-٥٢٩؛ سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربى، الاسكندرية، ١٩٧٩م، فى جزئين، جـ٢، ص٢٨٩-٤٠٦.
Marçais, (G). La Berbérie musulmane et l'orient au moyen-âge, Paris, 1947, P.110-116.

(١) ابن القاضى، جذوة الاقتباس، ق١، ص٢٠، السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص٧٨؛ سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربى، جـ٢، ص٤١٩.

(٢) عن هذا التوزيع راجع: البَكرى، المُغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمَغرب ص١٢٤؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، جـ١، ص١٢٩-١٣١؛ ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص٥١، ابن القاضى، جذوة الاقتباس ق١، ص٢٣ السلاوى (أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى) الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصرى ومحمد الناصرى، الدار البيضاء، ١٩٥٤-١٩٥٥م، جـ١، ص١٧٣.

فولى أخاه عيسى على سلا، وكانت النتيجة الطبيعية لتقسيم البلاد أن دب الخلاف بين الإخوة، فمنهم من استجاب لإغراء الاطماع الأنانية، فخرج على سلطان الأخ الأكبر، ومنهم من رأى التمسك بأهداب الطاعة، وانتهى الأمر بسلسلة من المنازعات والحروب بين الإخوة، فافتتح ذلك عيسى بالتمرد فى مدينة سلا وشق عصا الطاعة على أخيه طالبا الأمر لنفسه، فكتب الإمام محمد إلى أخيه القاسم صاحب طنجة(١) يأمره بمحاربة عيسى بسبب مجاورة بلاده لسلا، ولكن القاسم امتنع عن ذلك(٢)، فاضطر الإمـــام

---

(١) طنجة مدينة قديمة بالمغرب الأقصى تقع عند الطرف الغربى بمضيق جبل طارق بين البحر المتوسط والمحيط الأطلسى ولايفصلها عن الشاطئ الاسبانى المقابل سوى ثمانية عشر كيلومتراً. وقد عُرفت فى القديم أيام الفينيقين والرومان باسم تنجىTingi و معناه بالبربرية البحيرة. ولما فتح المسلمون بلاد المغرب كانت طنجة قاعدةالمجاز الكبرى إلى الاندلس، ثم خضعت للأدارسة ثم العلويين بفاس والأمويين فى الأندلس، ثم سيطر عليهاحكام دولة بروغواطة فى تامسنا، وجعلوا منها ومن سبتة أهم قاعدتين بحريتين لأعمال القرصنة ضد السفن التجارية المارة فى مضيق جبل طارق ثم استطاع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين أمير دولة المرابطين أن يقضى على هذه الدولة البرغواطية ويحتل سبتة وطنجة. وكانت طنجة من أهم موانى المغرب الإسلامى طوال العصور التالية.

راجع – مؤلف مجهول، الاستبصار، ص١٢٨–١٢٩؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، القسم الثالث، هامش (١) ص٢٠٢.

(٢) كتب القاسم إلى أخيه الإمام معتذراً عن توقفه عما أمره به فى أبيات شعر يفهم منها أن القاسم كان زاهداً فى أرض المغرب رغم ما كان له بها من مركز مرموق راغباً فى العودة إلى المشرق وهو الأمر الذى يسترعى الانتباه – على حد قول الاستاذ الدكتور سعد زغلول عبد الحميد بعد أكثر

محمد إلى مخاطبة أخيه عمرصاحب بلاد صنهاجة وغمارة يأمره بمحاربة أخيه عيسى، فامتثل عمر لأمره، وحشد جيشاً كبيراً من البربر، وسار نحو أخيه عيسى، فلما اقترب عمر من أحواز سلا كتب إلى أخيه الإمام يستمده فأمده بألف فارس من قبائل زناته، وتمكن من إلحاق الهزيمة بأخيه عيسى وأخرجه عن مدينة سلا وأعمالها، وكتب عمر إلى أخيه الأمام بهذا الانتصار، فكتب له الأمام محمد يشكره على ما قام به، ويوليه على ما فتحه من أعمال عيسى، ويأمره بالمسير إلى قتال أخيه القاسم الذى عصى وأمتنع عن حرب أخيه عيسى، فسار عمر بجيوشه لقتال القاسم فلمانزل على مقربة من مدينة طنجة، خرج القاسم للقائه، ودارت بينهما معارك عديدة، هُزم فيها القاسم، وضم عمر بلاد أخيه القاسم إليه، أما القاسم، فقد سار إلى ساحل البحر المتوسط، فتزهد و بنى مسجداً ورباطاً مما يلى مدينة

= من أربعين سنة من استقرار الأدارسة فى المغرب وهذه الأبيات:

سأترك للراغب الغرب نهباً ... وإن كنت فى الغرب قيلاً ونديًا

وأسمو إلى الشرق فى همة ... يعز بها رُتبًا من أحيا

وأترك عيسى على رايه ... يعالج فى الغرب همًا وكربًا

راجع: ابن الأبار، الحلة السيراء، جـ١، ص١٣٢، سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربى، جـ٢، ص٤٦٠.

أصيلا[1]، وهكذا خضعت سلا لحكم عمر بن إدريس بن عبد الله العلوى.[2] واستمر الأدارسة يتناوبون حكم مدينة سلا إلى أن انتزعها منهم موسى بن أبى العافية المكناسى[3] عام ٣١٧هـ (١٩٢٩م) ثم صارت سلا عاصمة ملك بنى يفرن.[4]

---

(١) أصيلا مدينة صغيرة تقع على ساحل المحيط الاطلسى ومعناها بالبربرية المكان الجميل، وينسب إليها الكثير من العلماء، ويرجع تأسيسها إلى العصر القرطاجنى، وقد اهتم الأدارسة ببنائها وجعلوها مركزًا لدولتهم فى شمال المغرب إلى جانب قلعة حجر النسر، ويصفها صاحب الاستبصار: "كانت مدينة كبيرة أزلية عامرة أهلة كثيرة الخير والخصب وكان لها مرسى مقصود."
راجع: البكرى، المُغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص١١١-١١٣؛ ياقوت الحموى (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومى البغدادى): معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، جـ١، ص٢٣٥؛ مؤلف مجهول، الاستبصار، ص١٣٩؛ ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى المغرب والأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادى، الاسكندرية، ١٩٨٣م، ص١٠٤.

(٢) البكرى، المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص١٢٤؛ ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص٥١، ٥٢؛ ابن القاضى، جذوة الاقتباس، ق١ص٢٠٢، ٢٠٤؛ سالم، المغرب الكبير، ص٤٨٠، ٤٨١؛ سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربى، جـ٢، ص٤٥٨-٤٦٠.

(٣) هو موسى بن أبى العافية بن أبى باسيل بن أبى الضحاك بن تامريس ابن إدريس بن وليف بن مكناس بن سطيف المكناسى، ملك معظم أنحاء المغرب الأقصى فى أوائل القرن الرابع الهجرى وأعلن الولاء والطاعة للخليفة عبد الرحمن الناصر فى الأندلس، فزحف إليه ميسور الفتى قائد الخليفة الفاطمى القائم، وتمكن من إلحاق الهزيمة بموسى وأجلاه عن أعمال المغرب إلى الصحراء، ولم يزل موسى شريدًا إلى أن قتل ببعض بلاد ملوية سنة ٣٤١هـ (٩٥٢م).
راجع: ابن الخطيب، أعمال الاعلام، القسم الثالث، ص٢١٣-٢١٤؛ القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على): صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومى، القاهرة، ١٣٨٣هـ، جـ٥، ص١٨٢-١٨٤.

(٤) بنو يفرن بطن من بطون قبيلة زناتة البربرية، كانت مواطنهم الأصلية بأفريقية مابين تلمسان وتاهرت، ومن أبرز زعمائهم أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى صاحب الثورة الشهيرة ضد الدولة الفاطمية، ويعلى بن محمد اليفرنى الذى دعا للخليفة عبد الرحمن الناصر واستولى على وهـــران=

استمر الصراع بين بنى يفرن أصحاب سلا وبين بنى زيرى بن عطية المغـــــراوى أصحـــــاب فـــــاس[1]، ففى عـــام ٤٢٤هـ (١٠٣٢م) أعلن

= سنة ٣٤٣هـ (٩٥٤م) ثم بسط نفوذه غربًا فاستولى على فاس، وفى سنة ٣٤٩هـ (٩٦٠م) خرج جوهر الصقلى قائد جيوش الخليفة المعز لدين الله الفاطمى إلى بلاد المغرب، فلما اتصل خبر قدومه بيعلى بن محمد اليفرنى حشد بنى يفرن وجميع قبائل زناته وتلقاه على مقربة من تاهرت، فكانت بينهما حروب شديدة، وتمكن جوهر من قتل يعلى وقطع رأسه وأرسلها إلى مولاه المعز بالقيروان، فولى بعده ابنه يدو بن يعلى، وكانت بينه وبين زيرى بن عطية المغراوى حروب عنيفة، فكان إذا انتصر يدو دخل فاس وتملكها، وإذا انتصر زيرى أخرجه عنها إلى أن انتهى الأمر بهزيمة يدو بن يعلى ومقتله سنة ٣٨١هـ (٩٩١م) وبعث زيرى بن عطية برأسه إلى المنصور محمد إبن أبى عامر فى الأندلس، فانسحب بنو يفرن إلى سلا واستقروا فيها واتخذوها عاصمة لدولتهم فى بلاد المغرب الأقصى.

راجع: ابن عذارى، البيان المغرب، جـ١، ص١٦٣، ١٦٤؛ مولف مجهول (الحلل الموشية فى ذكر الاخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، ١٩٧٩م ص١٢؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، القسم الثالث، ص١٦٤، ١٦٥؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا، جـ٢، ص١٨.

(١) ينتسب زيرى بن عطية المغراوى إلى قبيلة مغراوة إحدى بطون زناتة وكان قد ساعد المنصور محمد بن أبى عامر فى إخماد الثورة العلوية التى قام بها الحسن بن كنون واعوانه الزناتيين من بنى يفرن، وقد كافأه المنصور على ذلك بأن ولاه حكم بلاد المغرب فصارت له الرياسة فى قبائل زناتة وينسب إلى زيرى بن عطية بناء مدينة وجدة سنة ٣٨٤هـ (٩٩٤م) وجعلها عاصمة لدولته المغراوية. وقد حرص زيرى على إظهار ولائه للدولة الأموية وإرسال الهدايا إلى الحاجب المنصور إبن أبى عامر غير أن هذه العلاقات الطيبة لم تلبث إن تغيرت فجأة فى آخر زيارة قام بها زيرى إبن عطية للأندلس، فقد ذكر المؤرخون أنه لما جاز إلى المضيق عائدًا إلى وطنه واستوت قدمه على أرض طنجة، تعمم وخاطب بلاده مرحبًا: "الآن علمت أنك لى!" وهذه العبارة تدل على عزمه الاستقلال ببلاده عن السيادة الأموية فى الأندلس، وفى عام ٣٨٦هـ (٩٩٦م) أعلن زيرى ثورته على المنصور وطرد عماله من جميع بلاد المغرب ماعدا القواعد الأموية المطلة على المضيق مثل سبتة وطنجة ومليلة: فقرر المنصور تاديبه وأرسل جيشًا كبيرًا لقتاله جعل على قيادته واضح الفتى العامرى وقد تعرض واضح للهزيمة فأمده المنصور بابنه عبد الملك المظفر الذى نجـــح فى=

ابو الكمال تميم بن زيرى اليفرنى الثورة فى سلا وزحف لملاقاة حمامة ابن المعز بن زيرى فى فاس، فكانت بينهما حروب عنيفة، انهزم فيها حمامة وفر إلى مدينة وجدة،(١) فدخل تميم اليفرنى مدينة فاس فى شهر جمادى الآخرة سنة ٤٢٤هـ (إبريل ١٠٣٣م) وأوقع باليهود فيها، فقتل منهم نحواً من ستة آلاف يهودى وانتهب أموالهم.(٢)

= ايقاع الهزيمة بزيرى بن عطية، ولكنه كتب إلى المنصور يتقرب إليه ويسترضيه فعفا عنه وأعاده لولاية المغرب، ثم مات زيرى سنة ٣٩١هـ (١٠٠١م) وخلفه ابنه المعز بن زيرى، فلما توفى المعز فى جمادى الأول ٤٢٢هـ (أبريل – مايو ١٠٣١م) خلفه ابنه حمامة.

راجع: مؤلف مجهول (نبذ تاريخيه فى أخبار البربر فى القرون الوسطى منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر، اعتنى بنشرها وتصحيحها ليفى بروفنسال، الرباط، ١٩٣٤، ص٢٧، ٢٨، السلاوى الناصرى، الاستقصا، جـ١، ص٢١٠-٢١١؛ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٦٩، العصر الأول، القسم الثانى، ص٥٤٥ ٥٥٥؛ أحمد مختار العبادى :فى تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية، ١٩٧٤م، ص٢٣٦، ٢٣٧.

(١) أسست مدينة وجدة عام ٣٨٤هـ (٩٩٤م) على يد زيرى بن عطية المغراوى وابتنى بها قصبة منيعة وقصراً، وأحاطها باسوار ضخمة، ونقل إليها أمواله وذخائره واتخذها قاعدة الحكم سنة ٣٨٦هـ (٩٩٦م) لموقعها المتوسط بين المغربين الأوسط والأقصى، وقد دمرت هذه المدينة فى عام ٦٧٠هـ (١٢٧١م) على يد قوات السلطان المنصور المرينى بعد معركة نشبت بينه وبين بنى عبد الواد بأحوازها، ثم أعاد ابنه السلطان يوسف بن يعقوب تعمير هذه المدينة فى عام ٦٩٦هـ (١٢٩٦م).

راجع: ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص١٣٢، الحسن الوزان، وصف أفريقية، ص١٢، ١٣، السلاوى الناصرى، الاستقصا، جـ١، ص٩٢.

(٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثالث ص١٦٥، ١٦٦ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص٤٦، ابن القاضى، جذوة الاقتباس، ق١، ص١٧٢.

أقام تميم بن زيرى اليفرنى بمدينة فاس سبعة أعوام بينما ظل حمامة بن المعز بن زيرى بن عطية يتحين الفرص للزحف على فاس فأعد لذلك جيشًا ضخمًا، كما كتب إلى قبائل مغراوة، فاجتمعوا عليه، وزحف بحشوده إلى فاس ودخلها وتملكها، بينما فر تميم بن زيرى اليفرنى إلى سلا وذلك سنة ٤٣١هـ (١٠٣٩م).(١)

---

(١) ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ق١، ص١٧٣.

سلا فى عصر المرابطين

توفى تميم بن زيرى بن تميم اليفرنى بمدينة سلا سنة ٤٤٨هـ (١٠٥٦م) وخلفه عليها ولده محمد. وفى سنة ٤٦٦هـ (١٠٧٣م) سير أمير المسلمين المرابطى يوسف بن تاشفين(١) قائده الشهير أبو محمد

---

(١) أبو يعقوب يوسف بن تاشفين هو المؤسس الحقيقى لدولة المرابطين وقد ولد فى الصحراء فى سنة ٤٠٠هـ (١٠٠٩م). بيد أننا لانعرف شيئًا عن حياته ونشأته الأولى، وتذكره الرواية التاريخية لأول مرة فى سنة ٤٤٨هـ (١٠٥٦م) حينما ندبه الأمير أبو بكر اللمتونى ليكون قائدًا لجيش المرابطين الزاحف لغزو المغرب، ولما وقع الخلاف بين لمتونة ومسوفة وخشى الأمير أبو بكر بن عمر اللمتونى أن يتفاقم الأمر بين القبائل الشقيقة، قرر أن يعود إلى قومه، فوكل شئون المغرب لابن عمه يوسف بن تاشفين ونزل له عن زوجته زينب بنت إسحاق النفزاوية بعد ان طلقها وتزوجها يوسف. وقد قام يوسف بن تاشفين بجهد كبير فى فتح بلاد المغرب ثم لبى نداء أهل الأندلس وعبر إليهم وأحرز انتصاره الكبير فى وقعة الزلاقة سنة ٤٧٩هـ (١٠٨٦م)، وتمكن من التخلص من ملوك الطوائف وأقام امبراطورية مرابطية ضمت بلاد المغرب والأندلس وقد توفى سنة ٥٠٠هـ (١١٠٦م).

- عن قيام دولة المرابطين فى المغرب والأندلس ودور يوسف بن تاشفين.

راجع: البكرى، المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص١٦٤-١٧٠؛ ابن عذارى، البيان المغرب، الجزء الرابع الخاص بالمرابطين ١ - ٥٠؛ ابن أبى زرع، روض القرطاس، ٨٢ - ١٠٩؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص ٨ - ٥٧؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ق٣، ص٢٢٦ - ٢٤٠؛ ابن خلدون، العبروديوان المبتدأ والخبر، جـ٦، ص٣٨٣ -٣٨٠؛ سالم، المغرب الكبير ص٦٩١ - ٧٣٠.

Dozy (R.) Histoire des Musulmane d'Espagne, Three vols, Ley de, 1932, vol, III, P.124 - 153.Miranda (Ambrasio Huici). La invasion de los Almoravides y la batalla de zalaco, Hesperis, Annee, 1953, Tome, XL, Paris, P.26 -40.

مزدلي[1] إلى مدينة سلا على رأس جيش كبير فافتتحها.[2]

ومن المرجح أن مدينة سلا قد تعرضت للتخريب مراراً أثناء الحروب التي دارت بين المرابطين وبين البرغواطيين، فقد زارها الجغرافي الإدريسي في العصر المرابطي ووصفها بقوله: "فهي الآن خراب وبها بقايا بنيان قائم وهياكل سامية، ويتصل بخرابها عمارات متصلة وزروع ومواشي لأهل سلا الحديثة."[3] ويؤكد ذلك إغفال ذكرها طوال عصر المرابطين فيما عدا تخريب

---

(١) هو القائد المرابطي المشهور أبو محمد مزدلي بن سلنكان الذي استرجع للإسلام مدينة بلنسية سنة ٤٩٥هـ (١١٠١م) بعد أن استولى عليها السيد القنبيطور نحو ثماني سنوات، وقد تقلب مزدلي في مختلف المناصب فحكم غرناطة وقرطبة والمرية سنة ٥٠٤هـ (١١٠٩م) وظل يقود الحملات لجهاد المسيحيين القشتاليين حتى استشهد أخيراً في ميدان القتال في شوال سنة ٥٠٨هـ (مارس ١١١٥م) وذلك بعد حملته المظفرة التي دوخ فيها طليطلة واكتسح بسائطها سنة ٥٠٧هـ (١١١٤م).

عن مزدلي راجع: ابن عذارى، البيان المغرب، الجزء الخاص بالمرابطين، ص٤١ -٥٨؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ١١٠ -١١٣؛ ابن الكردبوس (أبو مروان عبد الملك التوزري) تاريخ الأندلس، وهو قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق د. أحمد مختار العبادي، منشورات معهد الدراسات الاسلامية بمدريد، ١٩٧١، ص١١٠، ١١٢، ١٢١.

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، جـ٤، ص٢٦، ٢٧؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ق٣، ص١٦٦.

(٣) الإدريسي ، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص٧٢.

النصارى المعاهدين إليها،(١) ونزول محمد بن تومرت بها.(٢)

---

(١) جاء قرار تغريب النصارى المعاهدين كرد فعل للحملة العسكرية التى قام بها الفونسو السابع (المحارب) ملك أرغون ضد أراضى المسلمين استجابة لنداء النصارى المعاهدين فى غرناطة، إذ التمسوا منه غزو الأندلس وتعهدوا له ببذل العون الصادق والعمل كمرشدين ومحاربين ووجهوا إليه زماماً يشتمل على اثنى عشر ألف مقاتل، كما وعدوه عند وصوله إلى حضرتهم بان ينضم إلى جيشه جميع المعاهدين فى بلادهم، فخرج الفونسو المحارب من سرقسطة فى أول شعبان سنة ٥١٩هـ (الثانى من سبتمبر سنة ١١٢٥م) واخترق شرق الأندلس مروراً ببلنسية ودانية وشاطبة ومرسية ثم اتجه نحو جنوب الأندلس وواصل زحفه إلى غرناطة إلا انه فشل فى دخولها ثم احرز نصراً عسكرياً محدوداً على جيوش المرابطين عند فحص الرينسول ثم قرر فجاة العودة إلى بلاده بعد أن تبين له ان حملته لم تحقق الهدف منها وان عسكره قد أصيبوا بخسائر جسيمة خلال المعارك التى خاضتها قواته مع قوات المرابطين بالاضافة إلى الأمراض التى سببتها برودة الشتاء القاسية. وقد أثبتت هذه الحملة أن المعاهدين النصارى الذين كانوا يتعايشون مع المسلمين فى ذمة الإسلام وفى ظل سياسة التسامح التى كان يطبقها المسلمون منذ الفتح أنهم كانوا منافقين غير موالين للمسلمين، وأنهم يبذلون العون والنصرة لملك أرغون وأنهم قد خانوا العهد ونكثوا بولائهم للمسلمين، وكان طبيعياً أن يتفرغ لهم أولو الأمر بعد انسحاب الفونسو المحارب إلى بلاده، فيعاقبونهم بما يستحقون من عقاب ممتثلين للنبي صلى الله عليه وسلم عندما خانه بنو قريظة اليهود، وهكذا أفتى الفقيه أبو الوليد ابن رشد بتغريبهم ونفيهم إلى المغرب، فأقر أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين هذه الفتوى، وصدر عهده إلى جميع مدن الأندلس بتغريب النصارى المعاهدين إلى المغرب.

عن تغريب النصارى المعاهدين راجع: ابن عذارى، البيان المغرب، جـ٤، ص٦٩ -٧٣، مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص٦٩ - ٧٠؛ ابن الخطيب، الإحاطة فى أخبار غرناطة نشر الأستاذ محمد عبد الله عنان فى أربعة أجزاء، القاهرة، ١٩٧٣ -١٩٧٧م. جـ١، ص١٠٩ -١١٤؛ أشباخ، تاريخ الأندلس فى عصر المرابطين والموحدين ترجمة الأستاذ محمد عبد الله عنان، القاهرة، ١٩٥٨، ص١٤٨ -١٥٠؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس، القاهرة، ١٩٦٤، الجزء الأول عصر المرابطين، ص١٠٦ -١١٤.

Simonet: Historia de los Mozarabes de Espana, Madrid, 1897, P.520 - 550 y Mozaralics y juaderios de los ciudades Hispano Musulmanas, AL-Andalus, vol, XIX, 1954; Fasc,1, P.173-175.

(٢) ينفرد البيذق بالإشارة إلى نزول المهدى محمد بن تومرت بسلا ولم يحـــدد تاريخ نزوله، إذ اشار=

أما سلا الحالية فيبدو أن نشأتها ترجع إلى عصر الموحدين، فقد قطن بها البربر بعد عصر سراج الموحدين عبد المؤمن بن على، وكان مجيئهم من أفريقية، فأنشأوا بها البساتين وعلموا أهلها طرق الرى وغراسة البساتين، وبدأت أهمية سلا تزداد منذ أن أظهر الخليفة الموحدى يعقوب المنصور عنايته بتعميرها.(١)

= إلى نزوله عند الفقيه القاضى أحمد بن عشرة، وكان يأتيه الكثير من طلاب العلم، يأخذون عنه العلم ويأمرهم أن يأمروا الناس بالمعروف وينهون عن المنكر، وقد أقام بسلا أياماً ثم أرتحل منها إلى مراكش.

راجع: البيذق (أبو بكر بن على الصنهاجى): أخبار المهدى بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، الجزائر، ١٩٧٤م، ص٥٤، ٥٥. وانظر أيضاً:

Miranda (Huici): Historia Politica del imperio Almohade, Tetuan, 1956. Vol, 1, P.51 -52.

(١) مؤلف مجهول، الاستبصار، ص١٤٠.

سلا فى عصر الموحدين:

واصل الموحدون سلسلة انتصاراتهم على المرابطين وإن كانت كلفتهم كثيراً طوال حياة أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ - ٥٣٧هـ/١١٠٦ - ١١٤٣م) لمحبة الناس له وعظم هيبته فى نفوس المرابطين، ثم جاءت وفاته سنة ٥٣٧هـ (١١٤٣م) بداية لنهاية دولة المرابطين، فلم يمض عامان حتى كان بنيانها قد انهار من أساسه فعلى الرغم من المحاولات اليائسة التى كانت يبذلها تاشفين بن على بن يوسف (٥٣٧ - ٥٣٩هـ/١١٠٦-١١٤٥م) الذى خلف أباه فى رئاسة المرابطين، وعلى الرغم من ضروب الشجاعة والإقدام التى اتصف بها فى معاركه التى خاضها ضد قوى الموحدين طوال الفترة القصيرة التى قضاها فى الإمارة وجملتها سنتان، فإن الصدع كان من العمق بحيث لم ينفع فيه علاج، وكان من الممكن أن يمتد أمر المرابطين لو أن العمر طال به أكثر من ذلك ولكنه لسوء طالع المرابطين خرّ صريعاً فى عام ٥٣٩هـ (١١٤٥م) وبوفاته إنهارت مقاومة المرابطين فى بداية عهد ولده الأمير أبى اسحاق ابراهيم بن تاشفين آخر أمراء دولة المرابطين إذ تمكن الموحدون من الاستيلاء على كثير من مدن المغرب.

سار عبد المؤمن بن على[1] من مكناسة[2] إلى مدينة سلا، فلما وصلها امتنع أهلها عن الدخول فى طاعته، وأغلقوا أبواب مدينتهم وتحصنوا خلف أسوارها، ومن المرجح أن الخيانة قد لعبت دورها فى فتح الموحدين

---

(١) ولد عبد المؤمن بن على فى قرية تاجرا من أعمال تلمسان فى عام ٤٨٧هـ (أوائل عام ١٠٩٥م) وينتسب إلى قبيلة كومية البربرية، وقيل أن والده كان قاضياً وذكر بعضهم انه كان فخاراً. وفى قرية تاجرا قضى عبد المؤمن طفولته وشبابه وفيها تلقى بعض العلوم الدينية وقد دفعه تعطشه لتحصيل العلوم إلى التفكير جدياً فى الرحيل إلى المشرق، وقرر عمه أن يصحبه فخرجا معاً إلى بجاية أحد ثغور المغرب الأوسط ليستقلا مركباً إلى المشرق وهناك نزلا بمسجد الريحانه من مساجدها، وسمعا الناس يتحدثان عن محمد بن تومرت ذلك الفقيه السوسى، فسأل عبد المؤمن عمه أن يسمح له برؤيته وسماعه، فأذن له بالسير إليه، فسأله ابن تومرت عن شخصه وعن أحواله، ولما وقف على مقصده، قال له إن العلم والشرف والذكر التى يطلبها موجودة وأنها تنال بصحبته، ودعاه إلى معاونته فيما هو قائم به، ومنذ هذا التاريخ أقام عبد المؤمن بن على ملازماً لابن تومرت، يؤازره فى دعوته ويشاطره مصيره أينما حل، وقد أطلق عليه ابن تومرت لقب سراج الموحدين، ولما توفى المهدى بن تومرت سنة ٥٢٤هـ (١١٣٠م) خلفه عبد المؤمن بن على الذى يعتبر المؤسس الحقيقى لدولة الموحدين فى المغرب والأندلس.

راجع: البيذق، أخبار المهدى بن تومرت ص٥١ – ٥٦؛ ابن الاثير (أبو الحسن على بن أحمد بن محمد الجزرى): الكامل فى التاريخ، القاهرة، ١٣٥٧هـ، جـ٨، ص٢٩٥ –٢٩٧؛ المراكشى (عبد الواحد بن على). المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، نشر الأستاذان محمد سعيد العريان، ومحمد العربى العلمى، القاهرة، ١٩٤٩م، ص١٩٤ – ١٩٧؛ ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص١٢٩ – ١٣١؛ ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٤٧٢، ٤٧٣.

(٢) تعتبر مكناسة من بين أشهر مدن المغرب، وتقع جنوب غرب فاس على مقربة من جبل زرهون، وعلى مكان مرتفع عن سطح البحر تحيط به أشجار الزيتون والكروم. وكانت نواتها الأولى هى مدينة تاكرارت ومعناها المدينة العسكرية التى بناها المرابطون للإشراف على منطقة مكناسة، ثم ازدهرت أيام بنى مرين الذين أسسوا فيها المساجد والحصون. راجع: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثالث، هامش (١) ص ١٦٩.

لمدينة سلا، إذ يروى ابن عذارى أن فتح سلا كان بفضل رجل يسمى يبورك وابنيه محمد وعلى، ومن المرجح أنهم كانوا من أبناء سلا، فراسلوا الموحدين سراً، ودعوهم للوصول إلى مدينتهم ليلاً وصنعوا لهم سلالم، فصعدوا بها على أسوار سلا فى حين غفلة من القائمين على حراستها، فقتلوا كل من وجدوه على السور، ودخل عبد المؤمن بن على سلا فى السابع من ذى الحجة سنة ٥٤٠هـ (مايو سنة ١١٤٦م) وأمن أهلها ورتب أحوالها واستولى على قصبتها التى كان بناها تاشفين بن على بن يوسف، كما أمر بتخريب أسوارها وأقام بها أربعة أيام حيث صلى فيها صلاة عيد الأضحى، وولى عليها عبد الواحد الشرقى،(١) ومن بين الشخصيات الكبيرة التى استقبلها عبد المؤمن بن على خلال وجوده فى مدينة سلا القاضى عياض بن موسى اليحصبى قاضى سبتة(٢)، وكان من أعظم فقهاء العصر وعلمائه، فقد سار للقاء عبد المؤمن بن على بسلا: "فأكرمه عبد المؤمن بن على وأجزل

---

(١) عن فتح عبد المؤمن بن على لسلا راجع:

ابن عذارى، البيان المغرب، جـ٥، ص٢٥، وانظر أيضاً مؤلف مجهول، نبذ تاريخية فى أخبار البربر فى القرون الوسطى منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر، نشره ليفى بروفنسال، الرباط، ١٩٣٤، ص٥٩؛ النويرى (احمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدايم البكرى التميمى القرشى) نهاية الأرب فى فنون الأدب، الجزء الثانى والعشرون نشر جاسبار راميرو، غرناطة، ١٩١٦ - ١٩١٧، ص١٩٩؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص١٣٦، ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢٣٢، الزركشى (أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللؤلؤى): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تونس، ١٢٨٩هـ، ص٨؛ السلاوى، الاستقصا، جـ٢، ص١٠٨، عنان، عصر المرابطين والموحدين، القسم الأول عصر المرابطين، ص٢٥٩؛ حركات، تاريخ المغرب، ص٢٦٨؛ السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص٥١.

Miranda, Historia Politica, vol, 1, P.70.

(١) أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبى السبتى المعروف=

صلته، فعاد إلى سبتة واستمر فى منصبه.(1)

أقامت سلا على طاعه الموحدين إلى قام بها ثائر يُدعى محمد بن عبد الله بن هود(2) وتسمى بالهادى وادعى الهداية اقتداء بالمهدى محمد بن تومرت، وكان يعمل قصاراً ببحر سلا، بينما كان أبوه دلالاً بسوق سلا، فثار أهل سلا بقيادة ابن هود، وقتلوا عاملهم الموحدى وقدموا عليهم هوداً والد الثائر، بينما اتجه الثائر ابن هود جنوباً ونزل برباط ماسة وذلك فى غرة شوال سنة ٥٤١هـ (مارس سنة ١١٤٧م) ولذلك عُرف بالماسى،(3) فتبعه

= بالقاضى عياض من أشهر الفقهاء والقضاه فى عصرى المرابطين والموحدين، وقد ولد فى مدينة سبتة فى شهر شعبان سنة ٤٧٦هـ (١٠٨٣م) تلقى العلم عن أشياخ بلده ثم رحل إلى الأندلس ودرس بقرطبة ومرسية ثم عاد إلى سبتة. ولى القضاء وهو بعد شاب لم يتجاوز الثلاثين من عمره، ثم تولى قضاء غرناطة سنة ٥٣٠هـ (١١٣٥م) إلى أن صرف عنه سنة ٥٣٢هـ (١١٣٧م) وعاد إلى سبتة، ثم ولى قضاء سبتة سنة ٥٣٩هـ (١١٤٥م)، ولما ظهر الموحدون بادر بالدخول فى طاعتهم، فأقره عبد المؤمن بن على على ما كان بيده.

راجع: ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك): الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس، جزءان، القاهرة، ١٩٦٦، جـ٢، ص٤٥٣، ٤٥٤؛ ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٧٥م، جـ١، ص٤٦٩؛ ابن خاقان (أبو نصر الفتح بن محمد القيسى الاشبيلى): قلائد العقيان فى محاسن الأعيان، القاهرة ١٢٨٣هـ، ص٢٢٢-٢٢٦؛ عنان، عصر المرابطين، ص٤٦٢، ٤٦٣.

(1) ابن الخطيب، الاحاطة فى أخبار غرناطة، جـ٤، ص٢٢٥.

(2) يقول البيذق ان اسم هذا الثائر عمر بن الخياط ويلقبونه ببويكندى والظاهر ان هذا الثائر اتخذ حين ثورته اسم محمد بن عبد الله بن هود، وقد حذا فى ذلك حذو المهدى محمد بن تومرت الذى تسمى أيضاً باسم محمد بن عبد الله.

راجع: أخبار المهدى بن تومرت، ص١٢١.

(3) يقول السلاوى الناصرى ان الماسى كان قد لحق بعبد المؤمن بن على وبايعه وشهد معه فتح مدينة مراكش. راجع: الاستقصا، جـ٢، ص١١٠.

كثير من القبائل: "واجتمعوا عليه اجتماعاً طار به الذكر فى الآفاق، وقامت بدعوته أمم لاتحصى، واتصلت دعوته فى جميع أقطار العدوة، حتى لم يبق منها إلا مراكش وفاس." فلما أحس عبد المؤمن بن على بخطورة ثورة الماسى، أرسل جيشاً كبيراً لإخمادها ولكن هذا الجيش تعرض لهزيمة عنيفة، فأعد عبد المؤمن بن على جيشاً آخر بقيادة الشيخ أبو حفص عمر ابن يحيى الهنتاتى،(١) يضم عدة من أشياخ الموحدين وطائفة كبيرة من الروم(٢) والرماة، وقد خرج هذا الجيش الموحدى من مدينة مراكش فى غرة ذى القعدة سنة ٥٤١هـ (أبريل سنة١١٤٧م) وخرج عبد المؤمن بن على

---

(١) أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتى المعروف بعمر ينتى شيخ قبيلة هنتاته إحدى بطون مصمودة التى قامت على أكتافها دولة الموحدين وكان أبو حفص من كبار القائمين بدعوة المهدى بن تومرت ومن كبار المشيدين لسلطان الموحدين فى المغرب والأندلس، وكان من بين من عقدوا الأمر لعبد المؤمن بن على، كما أنه فتح للموحدين كثيراً من بلاد الأندلس مثل الجزيرة الخضراء ورنده وإشبيلية وقرطبة وغرناطة، وقد توفى فى الطاعون الذى أصاب بلاد المغرب والأندلس سنة ٥٧١هـ (١١٧٥م) وهو جد الحفصيين حكام افريقية أو البلاد التونسية.

راجع: البيذق، أخبار المهدى بن تومرت، ص٣٣، ٧١، ٩٥، ٩٧، ١٠٦، ١٠٩، ١٢١، ١٢٦؛ المراكشى، المعجب، ص١٩٤، ١٩٩، ٢٢٤، ٢٦٢، ٣٣١؛ ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص١١٣؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص٨٨، ١٢١، ١٣٢، ١٣٤، ابن خلدون، العبر، جـ٢، ص٢٢٦، ٢٢٩، ٢٧٥، ٢٧٦؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا، جـ٢، ص١٣٥.

Miranda, Historia politica del imperio-Almohade, Vol, 1, P.205, 222, 236, 239, 243, 269, 274, Vol, 2, P.391-394.

(٢) عاشت طائفة كبيرة من الروم بأرض المغرب الأقصى نتيجة للمعارك التى خاضها المرابطون والموحدون بالأندلس والتى أسفرت عن كثير من الأسرى استخدمهم ولاة الأمر فى خدمتهم بالمغرب الأقصى وخاصة فى الجيش حتى يستفيدوا من خبرتهم العسكرية.

راجع: حركات، المغرب عبر التاريخ، جـ١، ص٢٢٣.

بنفسه لوداع هذا الجيش، وسار الجيش الموحدى حتى وصل إلى رباط ماسة فى شهر ذى الحجة (مايو -سنة١١٤٧م)، وكان جيش الماسى يضم نحو الستين ألفاً بينهم سبعمائة من الفرسان، بينما كان الجيش الموحدى يضم ستة آلاف فارس ومثلهم من الرجالة، وحدث اللقاء بين الجيشين يوم الخميس السادس عشر من ذى الحجة سنة٥٤١هـ (السابع من مايو سنة ١١٤٧م) ودارت بينهما معارك عنيفة، انتهت بانتصار الموحدين وقتل محمد بن عبد الله بن هود على يد الشيخ أبو حفص عمر، فلقبه الموحدون بسيف الله تشبيهاً له بخالد بن الوليد، ومزق جيش الماسى شر ممزق، وحمل الموحدون جثته إلى مراكش حيث صلبت على باب الشريعة من أبواب مدينة مراكش.(١)

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، حـ٥، ص٣٠، ٣١، مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص١٤٦، ابن الخطيب، الإحاطة، جـ١، ص١٤٩، ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢٣٢، السلاوى الناصرى، الاستقصا، جـ٢، ص١١٠، ١١١، عنان، عصر المرابطين، ص٢٦٩، ٢٧٠، حركات، المغرب عبر التاريخ، جـ١، ص٢٦٨.
Miaranda, Historia Politica, Vol, 1, P.189.

ظلت سلا على عصيانها رغم اخماد عبد المؤمن بن على لثورة محمد بن عبد الله بن هود، إذ كان لازال بها والد الثائر الماسى، ففى تلك الفترة، فر يحيى بن أبى بكر بن يوسف بن تاشفين الملقب بالصحراوى أو ابن الصحراوية من فاس عقب سقوطها فى أيدى الموحدين إلى سبتة، ويروى البيذق أن هذا القائد الصحراوى حينما فر إلى مدينة سبتة، أرسل الخليفة عبد المؤمن بن على وراءه صاحب البحر أبو الحسن على بن عيسى بن ميمون الذى كان قائداً لأسطول المرابطين ثم انضم إلى الموحدين، فحاصر ابن ميمون سبتة بأسطوله، فخرج إليه الصحراوى، وقال له: أريد أن يكون توحيدى على يديك يا أبا الحسن، فقال له: نعم أحملك إلى الخليفة، فلما أنس له ابن ميمون، نزل من سفينته، وأراد الجلوس معه، ولكنه لمح فى وجه الصحراوى الغضب فلما أراد العودة الى سفينته وثب به الصحراوى وقتله(١)، ثم اتجه الأخير الى مدينة طنجة، ولكنه وجدها على أهبة الاستعداد للدفاع عن نفسها ففادرها إلى مدينة سلا- وكان بها كما سبق أن أشرت والد الثائر الماسى- ورغم عصيان سلا، إلا أن الثائر الماسى لم يكن من انصار المرابطين، فحدث الصدام بينه وبين الصحراوى، فقام الأخير بقتله وقطع رأسه ورماه فى البحر سنة ٥٤٣هـ (١١٤٨م) وأخضع سلا لنفوذه وسلطانه. وكان يحيى الصحراوى جندياً عظيماً وفارساً جريئاً، وكان يعتزم أن ينزل إلى ميدان تضطرم فيه الثورة ضد الموحدين، وكانت المنطقة الساحلية الممتدة من سلا جنوباً حتى أراضى برغواطة منطقة لمقاومة الدعوة الموحدية ومحاولة تحطيمها، والظاهر ان البرغواطيين قد عادوا إلى الظهور مرة أخرى بعد تغلب

---

(١) اخبار المهدى بن تومرت، ص١٠٦- ١٠٧؛ المراكشى، المعجب، ص١٩٩ -٢٠٠

المرابطين عليهم على أيام يوسف بن تاشفين، فحاربهم عبد المؤمن بن على، فاستنصروا بيحيى بن أبى بكر الصحراوى، فنزل الصحراوى إلى هذا الميدان واجتمعت إليه الكثير من القبائل البربرية المعارضة للموحدين، فلما علم عبد المؤمن بهذه الحشود الضخمة بعث لقتالهم القائد يصلا سن، فسار إلى سلا ودخلها بالسيف وعهد بولايتها إلى موسى بن زيرى الهنتاتى، ويشير ابن عذارى إلى أن أهل سلا أرسلوا وفداً إلى مراكش لإعلان الطاعة والولاء للموحدين، فاشترط عليهم عبد المؤمن بن على بهدم سور مدينتهم، فهدم، فصفح عن دمائهم.(١)

أصبحت سلا مركزاً لتجميع الجيوش الموحدية سواء الذاهبة منها إلى إفريقية أو تلك التى تقصد العبور إلى الأندلس، وكانت المنطقة الواقعة شمالاً فيما بين سلا وسبتة تحتوى عدة مراكز كبيرة لتخزين المؤن اللازمة لإمداد الجيوش الذاهبة والعائدة، ولذلك أصبحت سلا موضع اهتمام ورعاية من جانب خلفاء الموحدين. ففى عام ٥٤٥هـ (١١٥٠م) تحرك عبد المؤمن بن على من مراكش إلى سلا ليستطلع منها أحوال الأندلس، وأمر أن تنشأ قصبة وقصر فوق اللسان الممتد فى البحر أمام سلا، وبأن ينشأ سرب يستمد الماء من عين غبولة القريبة لإمداد المحلة الموحدية، وأمر بإحضار العمال وأجرى الماء حتى أوصله إليها فى شهرين فقط، وقد مكث الخليفة خلال هذه الزيارة بسلا خمسة شهور، وقد أمر عبد المؤمن بن على باستدعاء وفود أهل الأندلس، فوصلوا إلى سلا نحو الخمسمائة فارس من الخطباء والفقهاء والقضاة والأشياخ والقواد، فخرج لاستقبالهم الوزير أبو ابراهيم إسماعيل الهزرجى(٢) والوزير أبـو حفص عمـــر الهنتاتى والوزير

---

(١) راجع التفاصيل فى ابن عذارى، البيان المغرب، حـ٥، ص٣٥ - ٣٧، عنان، عصر المرابطين، ص٢٧٣، ٢٧٤.

(٢) أبو ابراهيم اسماعيل بن يسلالى الهزرجى، وكان من طلبة المهدى، ثم عهد إليه المهدى بالقضاء والقيادة العسكرية، وكان أحد من عقدوا البيعة لعبد المؤمن بن على بعد وفاة المهدى بن تومرت، وإليه يرجع الفضل فى اخماد ثورة ضد عبد المؤمن فى صفروى، ويذكر عبد الواحد المركشى من أخباره إنقاذه لابن تومرت من مؤامرة حيكت لاغتياله، وكذلك فداءه لعبد المؤمن بن على بمبيته فى خبائه ومصرعه على يد بعض من ائتمر به=

الكاتب أحمد بن عطية(1) وأشياخ الموحدين على نحو الميلين من سلا، وأنزلوهم خير منزل وأضافوهم خير ضيافة، ثم سمح لهم بالدخول على عبد المؤمن بن على بعد ثلاثة أيام وذلك يوم الجمعة غرة المحرم سنة ٥٤٦هـ (العشرون من أبريل سنة ١١٥١م) وأشار الوزير الكاتب أحمد بن عطية لأهل قرطبة بالتقدم، فتقدم قاضيهم أبو القاسم بن الحاج،(2) فوصف سوء أحوال المسلمين ومايعانونه من تهديد النصارى لهم، ثم تلاه أبو بكر بن

= راجع: البيذق، أخبار المهدى بن تومرت، ص٣٢، ٧٠، ٧٥، ٨١، ٨٣، ٩٢، ٩٤، ٩٩، ١٢٢، ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص١١٤؛ عبد الواحد المراكشى، المعجب، ص٢٢٣، ٢٣٤، ٢٣٥، مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص٨٨؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا؛ جـ٢، ص٩٦، ١٠٧.
Miranda, Historia Politica, Vol, 1, P.59, 102, 103, 110, 126, 135, 172, 28, Vol, 11, P.592, 607, 609.

(1) أبو جعفر أحمد بن جعفر بن محمد بن عطية القضاعى المراكشى، ولد بمدينة مراكش وأصله من قرية بناحية طرطوشة بالأندلس، كان من كبار الأدباء والكتاب أيام المرابطين، فقد تولى الكتابة لعلى بن يوسف بن تاشفين، ثم لما سقطت دولتهم أختفى إلى أن عفا عنه عبد المؤمن بن على واستكتبه ثم استوزره، ثم جرت عليه بعد ذلك محنة انتهت بقتله وأخيه أبى عقيل فى أواخر سنة ٥٥٣هـ(١١٥٨م).

راجع: عبد الواحد المراكشى: المعجب، ص٢٠٠، ابن الأبار، الحلة السيراء، جـ٢، ص٢٣٥؛ ابن عذارى، البيان المغرب، جـ٣، ص٢٦، ٢٧، ٣٥، ٣٦، ٣٧؛ ابن الخطيب، الاحاطة، حـ٥، ص٢٧١ – ٢٧٩.

(2) أبو القاسم إبراهيم بن الحاج أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن خالد بن عمارة الأنصارى، من أهل غرناطة، وبها نشأ ودرس على أعلام عصره بها كما درس بقرطبة ومالقة و المرية، وكذلك برع فى الفقه والحديث وتولى القضاء بعدة جهات فى غرناطة، ولما انهارت دولة المرابطين غادر غرناطة إلى قرطبة حيث تولى القضاء بها، ومن قرطبة اتجه إلى ميورقة وظل بها حتى توفى سنة ٥٧٩هـ (١١٨٣م).

راجع: ابن الأبار، التكملة، جـ١، ٣٢٢.

الجد(١) بخطبه بليغة استحسنها عبد المؤمن بن على: "ووصل الجميع كلا على قدره، وقضاء حاجاتهم وأوصلهم بما أرادوا وأمرهم بالانصراف إلى بلادهم، فانصرفوا فرحين مغتبطين" بعد أن امتدت اقامتهم فى سلا خمسة عشر يوماً.(٢)

وفى نفس العام (٥٤٦هـ/١١٥١م) قرر عبد المؤمن بن على فتح مدينة بجاية(٣) لاعتبارات فى مقدمتها استيلاء النورمنديين على مدينة المهدية(٤)

---

(١) أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرح بن الجد، وأصله من لبلة وبها ولد سنة٤٩٦هـ (١١٠٢م)، وتلقى بها دراسته الأولى، ثم درس بقرطبة وإشبيلية، ونبغ فى دراسة الفقه والحديث، وقدم للشورى بإشبيلية وكان فى عصره فقيه الأندلس والمغرب وحافظهما دون منافس ولامنازع كما كان أبرع أهل عصره فى التمكن من مذهب مالك، وذاع صيته فى المغرب والأندلس، وتبوأ ذروة النفوذ والجاه فى ظل الدولة الموحدية، وتوفى باشبيلية فى الرابع من شوال سنة٥٨٦هـ (١١٩٠م) عن تسعين عاماً. راجع: ابن الأبار، التكملة، جـ٢، ص٢٤٥.

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، حـ٥، ص٤٣ -٤٥؛ ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص١٩٢، ٢٦٤؛ إبن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢٣٥؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا، جـ٢، ص١١٩، عنان، عصر المرابطين، ص٢٧٩؛ حركات، المغرب عبر التاريخ، ص٢٣٠.

(٣) بجباية مدينة Bougie بالجزائر من أعمال قسنطينة تقع على ساحل البحر المتوسط، أسس الفينيقيون هذه المدينة، ودعوها صلدة ثم أصبحت رومانية تحت اسم صلاتى ثم خربت بعد ذلك على أيدى الوندال والبربر وبقيت على هذه الحال حتى بناها من جديد الناصر بن علناس بن حماد بن زيرى الصنهاجى سنة٤٥٧هـ (١٠٧٦م) وسماها الناصرية ثم سميت بجاية على اسم القبيلة البربرية التى تخيم حولها، وفى عهد المنصور بن الناصر الحمادي صارت بجاية عاصمة لدولة بنى حماد بدلاً من قلعة حماد، فكثر عمرانها وهاجر إليها عدد كبير من أهل الأندلس وعقدت معها الدول الأوربية معاهدات تجارية وقنصلية حتى صارت من أكبر مدن إفريقية. ثم استولى الموحدون عليها وظلت تحكم حكمهم ثم خضعت للحفصيين.

راجع: البكرى، المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص٨٢، الإدريسى، صفة المغرب، ص٦٢، ٦٣؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، القسم الثالث، هامش(١) ص٧٦.

(٤) تقع المهدية على ساحل المغرب الأدنى وهى على اسم عبيد الله المهدى أول الخلفاء الفاطميين

سنة٥٤٣هـ (١١٤٨م) وعيثهم فساداً فى الثغور الإفريقية وسيطرتهم على الشاطئ الأفريقي من مدينة طرابلس الغرب إلى مدينة تونس، وقد أحاط عبد المؤمن على حملته إلى بجاية بالسرية التامة ولكى يضلل أعداءه فيما يتجه إليه وصل إلى مدينة سلا وبعد أيام معدودة اتجه إلى مدينة سبتة موهماً أنه سيعبر إلى الأندلس ولكنه اتجه بجيشه فجأة صوب الشرق، وسار مسرعاً نحو مدينة بجاية واستولى فى طريقة إليها جزائر بنى مزغنة،(١) وكان يحكمها القائم بن يحيى بن العزيز ولى عهد بجاية، فالتجـــأ القائم إلى والده

= فى بلاد المغرب، والسبب فى بنائها كعاصمة جديدة للدولة الفاطمية الناشئة يرجع إلى شعور المهدى بالحاجة إلى حصن يحتمى فيه إذا ما تغيرت عليه نفوس رعاياه، ولذا أختار المهدى عاصمته الجديدة على شبه جزيرة بالساحل التونسي بين سوسة وصفاقص كي يتسنى له الاعتماد على أسطوله فى حماية المدينة، وقد أشرف المهدى بنفسه على بناء مرسىَ المهدية، كما أنشأ على ساحلها داراً كبيرة للصناعة ثم بنى المهدى حولها أسواراً محكمة ذات أبواب ضخمة، ويقال إنه لما فرغ من بنائها قال: "آمنت اليوم على الفاطميات."

راجع: مؤلف مجهول، الاستبصار، ص١١٧، ١١٨، ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، جـ٨، ص٣٥، ٣٦؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثالث، ص٤٦، ٤٧، ٤٨.

(١) جزائر بنى مزغنة هى مدينة الجزائر الحالية، وكانت هذه المدينة فى القديم تحمل اسم إيكسيوم ثم خربت أثناء هجمات الوندال وثورات البربر وأصبحت مستقراً لقبيلة بربرية تدعى بنى مزغنة. وفى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) أسس بلقين بن زيرى بن مناد الصنهاجى مدينة هناك دعاها جزائر بنى مزغنة. وقد وصفها البكرى ووصف ما بها من آثار قديمة وقال بأنها كانت مرسى شتوياً ومعبراً إلى الأندلس، ثم خضعت لنفوذ المرابطين والموحدين.

راجع: البكرى، المغرب فى ذكر افريقية والمغرب، ص٦٦، ٨٢، مؤلف مجهول، الاستبصار، ص١٢٣، ياقوت، معجم البلدان، جـ٣، ص٩٣، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثالث، هامش(١)ص٦٤.

يحيى بن عبد العزيز ولى عهد بجاية، فالتجأ القائم إلى والده يحيى ببجاية الذى أسرع بالفرار إلى مدينة قسنطينة،[(١)] بينما تمكنت القوات الموحدية من حصار بجاية ودخولها فى شهر ذى القعدة سنة ٥٤٧هـ (فبراير سنة ١١٥٣م)، ثم عاد عبد المؤمن بن على فاستراح فيها قرابة الشهرين ثم غادرها إلى مراكش.[(٢)]

---

(١) قسنطينة مدينة قديمة أسسها الفينيقيون، ثم خربت خلال العصر الرومانى، إلى أن جاء الامبراطور البيزنطى قنسطنطين الأول فأعاد بناءها وسميت منذ ذلك الوقت قسنطينة، وقد تعاقبت عليها الدول الاسلامية التى حكمت بلاد المغرب كالحماديين والحفصيين وقد وصفها صاحب الاستبصار بقوله: "ومدينة قسنطينة حصينة فى نهاية من المنعة والحصانة لايُعرف بافريقية أمنع منها، ليس لها فى المنعة نظير غير مدينة رندة بالأندلس.

راجع: الاستبصار، ص١٦٥، ١٦٦؛ الإدريسى، صفة المغرب، ص٩٤، ٩٥؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثالث، هامش(١) ص٧٠.

(٢) البيذق، أخبار المهدى بن تومرت، ص١١٣، ١٤؛ ابن عذارى، البيان المغرب، جـ٥، ص٤٥، ٤٦؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص١١٢، ١١٣، ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص١٩٢، ١٩٣؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا، جـ٢، ص١٢٠، عنان، عصر المرابطين، ص٢٨٢-٢٨٤.
Miranda, Historia Politica, Vol, 1, P.160 -167.

وفى سنة ٥٤٨هـ (١١٥٣م) شهدت سلا حادثاً على درجة كبيرة من الأهمية، ففى هذا العام سار عبد المؤمن بن على من مراكش إلى سلا لأخذ البيعة بولاية العهد لابنه البكر محمد، فقد حرص عبد المؤمن على توريث أبنائه الملك من بعده، ولذلك نراه قد مهد لذلك بأن استدعى قبيلته كومية ليحتمى وراء تلك العصبية القبلية، كما استغل عنصراً جديداً في الدولة وهم العرب فى سبيل تحقيق غايته من تولية ابنه محمد وذلك حين أمره أن يكاتب أمراء العرب الهلالية بأن نساءهم وأبنائهم فى الحماية والرعاية ويطلب منهم الحضور إلى الحضرة لاستلامهم - وكان عبد المؤمن قد أمسك بهم كأسرى فى إحدى حملاته ضد العرب الهلالية - حتى إذا حضروا إلى الحضرة وجدوا الترحيب والتكريم والأموال الجزيلة،مما دفعهم للاقامة فى الحضرة وقد امتلأت قلوبهم بالحب والإجلال للخليفة وابنه، فلما أطمأن عبد المؤمن بن على إلى ولائهم أوحى إليهم بمطالبته تنصيب ابنه ولياً للعهد، ففعلوا ذلك، إلا أن عبد المؤمن تظاهر فى بادئ الأمر وحتى لايبدو أمام أشياخ الموحدين وزعمائهم بمظهر الذى يريد أن يحول الدولة إلى ملكية وراثية يضاف إلى ذلك احترامه لشخصية أبى حفص عمر بن يحيى الهنتاتى ويبدو أنه كان هناك اتفاق بين عبد المؤمن بن على وبين أبى حفص بأن يتولى الخلافة خلفاً له، وقد بدأت وفود العرب تفد على سلا بإيعاز من عبد المؤمن بن على، وأبدوا رغبتهم صراحة فى اختيار ابنه محمد لولاية عهده، فأمر عبد المؤمن بإحضار أشياخ وفقهاء الموحدين وطلبتها وعمالها إلى سلا، وشاورهم فى هذا الأمر، ويبدو أن أبا حفص خشى على نفسه، فأعلن خلع نفسه وأعلن تأييده لتلك الرغبة فى اختيار الأمير محمد، وكذلك وافق الأشياخ والفقهاء والطلبة والعمال على هذا الاختيار، فتمت البيعة بولاية العهد لمحمد

إبن عبد المؤمن بمدينة سلا، وصدرت منها الرسائل إلى جميع الجهات لأخذ البيعة، كما وفد الشعراء على عبد المؤمن بسلا للتهنئة، ومكث عبد المؤمن بسلا بقية عام ٥٤٨هـ (١١٥٣ - ١١٥٤م).[١]

وفى عام ٥٥٠هـ (١١٥٥م) سار عبد المؤمن بن على من مدينة مراكش إلى مدينة سلا وعلى حد قول البيذق إن الخليفة بقى بها قرابة عامين،[٢] ولاشك أن توجه عبد المؤمن بن على إلى سلا وبقاءه بها هذه الفترة الطويلة كان يهدف فى المقام الأول مساندة جيوش الموحدين فى الأندلس وإمدادها بالرجال والعتاد. وفى غرة شوال سنة ٥٥٣هـ (نوفمبر سنة١١٥٨م) عاود عبد المؤمن بن على زيارته لمدينة سلا حيث وفد عليه بها الصحراوى وأشياخ جزولة وأعلنوا الولاء والطاعة له،[٣] كما وفد عليه بسلا وفد أهل الأندلس ومنهم الأديبة والشاعرة حفصة المعروفة بابنه الحاج الركونى.[٤]

---

(١) البيذق، أخبار المهدى بن تومرت، ص١٤١؛ ابن عذارى، البيان المغرب، حـ٥، ص٤٩؛ ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص١٩٤؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا، جـ٢، ص١٢٣، عنان، عصر المرابطين، ص٣٢٨، ٣٢٩؛ حسن على حسن، الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس فى عصر المرابطين والموحدين، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٠، ص٨٧، ٨٨.

(٢) أخبار المهدى بن تومرت، ص١٤٤، ١٤٥.

(٣) البيذق، المصدر السابق، ص١٤٥.

(٤) حفصة بنت الحاج الركونية من أهل غرناطة، وكانت فريدة زمانها فى الحسن والظرف والأدب ولها العديد من القصائد الشعرية، وكان الخليفة عبد المؤمن بن على قد سمع عنها وعما توصف به من الجمال الباهر والأدب الظاهر، فأمر بإحضارها، فأنشدته تستدعى منه ظهيراً لموضع فقالت:

ظل عبد المؤمن بن على فى مدينة سلا حتى تكامل ورود الجيوش الموحدية من أنحاء بلاد المغرب استعداداً لاسترداد مدينة المهدية من أيدى النورمانديين أصحاب صقلية، فخرج من سلا فى العاشر من شهر صفر سنة ٥٥٤هـ (فبراير سنة ١١٥٩م) يصحبه الحسن بن على الصنهاجى أمير(١) إفريقية السابق، وقد نجحت الجيوش الموحدية فى دخول مدينة المهدية يوم عاشوراء (الحادى عشر من المحرم) سنة ٥٥٥هـ (الحادى والعشرين من يناير سنة ١١٦٠م).(٢)

= ياسيد الناس يامن	يؤمل الناس رفده
أمنن علىّ بعضك	يكون للدهر عده
تخط يمناك فيه	(الحمد لله وحده)

فاعجب بها عبد المؤمن، ووقع لها بالقرية المعروفة بركونة وإليها تنسب حفصة.

الزركشى، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص١٠، ١١

(١) الحسن بن على بن يحيى بن تميم بن المعز الصنهاجى. ولد بمدينة سوسة فى شهر رجب سنة ٥٠٢هـ (١١٠٨م) وعهد إليه أبوه على بن يحيى بن تميم بالأمر فى حياته، فلما توفى سنة ٥١٥هـ (١١٢١م) بويع بإمارة إفريقية ومازال حتى استولى على المهدية رجار الثانى ملك صقلية سنة ٥٤٣هـ (١١٤٨م) فالتحق الحسن بعرب رياح ثم أراد الرحيل إلى مصر ولكنه لم يتمكن فانتهى به المطاف إلى البقاء فى الجزائر ومازال بها حتى فتحها عبد المؤمن بن على فوالاه الحسن ولحق به وصحبه إلى افريقية.

راجع: ابن القطان (أبو الحسن على بن محمد الكتامى): نظم الجمان فى أخبار الزمان، نشر وتحقيق د. محمود على مكى، الرباط، ١٩٦٤، ص٢٤؛ ابن عذارى، البيان المغرب، جـ٥، ص٣١٢؛

ابن خلكان، وفيات الاعيان، جـ٥، ص٢٦٢؛ ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص١٦٢.

(٢) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص١١٧، ١١٨؛ ابن أبى زرع، روض القرطاس، ١٩٧ - ١٩٩؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا، جـ٢، ص١٣٦؛ عنان، عصر المرابطين، ٢٩٤، ٣٧٦.

Julien (André). Histoire de l'Afrique du nord de la conquete arabe a 1830, Paris, 1952, P.110 -111.

وفى يوم الخميس الخامس من شهر ربيع الأول سنة ٥٥٨هـ (التاسع من شهر فبراير سنة ١١٦٣م) خرج عبد المؤمن بن على - كعادته - من مدينة مراكش إلى مدينة سلا قاصداً العبور إلى الأندلس للجهاد، فلما وصل إلى سلا للإشراف على إعداد وتجهيز الجيوش الموحدية كتب إلى جميع بلاد المغرب وإفريقية يستنفرهم للجهاد، فاجتمع له ما يزيد عن مائة ألف فارس ومثلهم من الرجاله، فلما استوفت لديه الحشود وتكاملت، أصيب بمرض أشرف منه على الموت، فأمر بعزل ولده محمد عن ولاية العهد واسقاط اسمه من الخطبة، وقد أوضح ابن صاحب الصلاة الاسباب المباشرة فى عزل الامير محمد عن ولاية عهد الموحدين فقال: "وعند الانصراف منها - أى انصراف عبد المؤمن بن على من زيارته لقبر المهدى بن تومرت بتينملل سنة ٥٥٨هـ (١١٦٣م) - فى الطريق ظهر من جرحه محمد المخلوع بما وجب عليه فى اثر ذلك الخلع، وذهب فى جانبه الصدع من شرب الخمر المحرمة وظهور السكر عليه، وذلك أنه تقيأها على ثيابه وأطنابه وسرجه وهو راكب على فرسه فى المحلة على مرأى من عظماء الموحدين وأشياخهم والعالم من المؤمنين الزائرين، فصح عند ابيه نكره وتخليطه وسكره فاسقط هو بفعله من الأمر نفسه وكسف بالنهار شمسه.(١)

وقد جمع عبد المؤمن بن على اشياخ الموحدين وأخبرهم برغبته فى عزل ابنه محمد وقال لهم: " قد جربت ابنى محمد فلم أجد فيه نجابة تصلح للأمور ولايستحق الولاية ولايصلح لها إلا ابنى يوسف وهو أولى بهـا فقدمـــوه لها

---

(١) المن بالإمامة، ص٢١٦، ٢١٧.

ووصاهم بها فبايعوه وعقدوا له الولاية.(١) وهكذا شهدت سلا عزل الأمير محمد عن ولاية عهد الموحدين واختيار الأمير يوسف بن عبد المؤمن لولاية عهد الدولة، ثم توفى عبد المؤمن بن على بمحلته فى سلا سنة ٥٥٨هـ (١١٦٣).(٢) وقد ذكر ابن مطروح فى تاريخه انه لما توفى عبد المؤمن بن على كان ولده وولى عهده أبو يعقوب يوسف بمدينة إشبيلية، فأخفى خبر موته وأرسل فى استدعائه، فوصل على وجه السرعة إلى سلا فتمت له البيعة بمحلة أبيه فى سلا.(٣)

لم تشر المصادر التاريخية إلى مدينة سلا خلال الفترة التى تلت عصر الخليفة عبد المؤمن بن على إلا إشارات قليلة، ففى غرة ربيع الأول سنة ٥٦٠هـ (السادس عشر من يناير سنة ١١٦٥م) تحرك السيد الأعلى أبو حفص أخى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن من مدينة مراكش إلى مدينة سلا، فأقام فيها نحو الشهر للنظر فى مصالحها.(٤) وكان أهالى مدينة

---

(١) ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص٢٢١؛ ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص١٩٩؛ الزركشى، تاريخ الدولتين، ص٩.

(٢) عن وفاة عبد المؤمن بن على بمدينة سلا والاختلاف بين المؤرخين حول تحديد اليوم والشهر الذى توفى فيه عبد المؤمن. راجع: البيذق، اخبار المهدى بن تومرت، ص٨٣؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص١٦٩؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، جـ٩، ص٨١، ابن عذارى، البيان المغرب، ج-٣، ص٧٩؛ عبد الواحد المراكشى، المعجب، ص٣٤؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص١٥٧؛ ابن أبى زرع، روض القرطاس ص٢٠٢؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا، جـ٢، ص١٢٩.

Miranda, Historia Politica, Vol, 1, P.209.

(٣) ابن عذارى، البيان المغرب، حـ٥، ص٨٣.

(٤) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٢٥٠، ٢٥١.

قفصة[1] قد ثاروا على الخليفة يوسف بن عبد المؤمن وقدموا على أنفسهم رجلاً منهم يعرف بعلى بن الرند، فتملكهم إلى عام ٥٧٦هـ (١١٨٠م)، فسار الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بنفسه إلى قفصه وحاصرها: "و نصب عليها آلة الحرب، وعمل للعجل الحاملة للآلات قلوعاً ضربتها الريح فمشتها فرعب أهل قفصة"، واستأمنوه فأمنهم وقطع غابتها وزيتونها، وقبض على عليّ بن الرند ونقله إلى مدينة مراكش ولكنه لم يلبث أن عفا عنه وولاه على مدينة سلا وأمره بالنظر فى مصالحها.[2]

وفى عام ٥٧٩هـ (١١٨٤م) رأى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن أنه لابد من إعادة تنظيم حركة الجهاد فى الأندلس، وقرر الخروج بنفسه على رأس الجيوش الموحدية المجاهدة، ففى يوم السبت الخامس والعشرين من شهر شوال سنة ٥٧٩هـ (فبراير ١١٨٤م)، خرج الخليفة من مدينة مراكش

---

(١) قفصة Gafsa مدينة من مدن الجريد جنوب تونس، وهى مدينة قديمة وكانت تسمى عند الرومان كبصة Gapsa يصفها صاحب الاستبصار بقوله: " وكان اسم مدينة قفصة مدينة الحَنيّة لأن فيها بنياناً قديماً مثل الحنية فكانت تسمى بها، وفى داخلها عيون كثيرة منها عينان كبيرتان معينتان ليس لهما نظير فى عذوبة مائهما وصفائه وكثرته. ولمدينة قفصة غابة كبيرة قد أحاطت بها من كل ناحية مثل الإكليل. وغابة قفصة كثيرة النخل والزيتون وجميع الفواكه التى ليس فى بلد مثلها: فيها تفاح عجيب جليل زكى الرائحة يسمونه السدس لايوجد فى بلد مثله؛ وكذلك الرمان والأترج والموز لايوجد مثلها فى بلد. وقفصة أكثر البلاد فستقاً حتى أننى أظن انه ليس بإفريقية فستقاً إلا فيها ومنها يجلب إلى إفريقية وبلاد المغرب وبلاد الأندلس ومصر." ويقول البكرى: " وقفصة مدينة مبنية كلها على أساطين وطيقان رخام قد بنى خلالها بالصخر الجليل بأحكم عمل.. وجباية قفصة ألف دينار..

راجع: مؤلف مجهول، الاستبصار، ص١٥٠ -١٥٤؛ البكرى، المغرب فى ذكر بلاد افريقية، ص٤٧.

(٢) مؤلف مجهول، الاستبصار، ص١٥٠، ١٥١؛ الحميرى، الروض المعطار، ص٤٧٩.

ووصل ركبه الضخم إلى مدينة سلا فى الثالث عشر من شهر ذى القعدة سنة ٥٧٩هـ (فبراير سنة ١١٨٤م)، فلما وصل إلى سلا أتاه قائد البحر محمد بن أبى إسحاق بن جامع(١) من إفريقية، فأعلمه بهدوئها وسكونها، ثم تحرك من سلا يوم الخميس الموافق للثلاثين من ذى القعدة سنة ٥٧٩هـ (الخامس عشر من شهر مارس سنة ١١٨٤م) فنزل بظاهرها ثم أقلع عنها فى اليوم التالى إلى مدينة مكناسة حيث قضى بها عيد الأضحى المبارك.(٢)

---

(١) تعتبر أسرة بنوجامع من شهيرات الأسر فى عصر الموحدين وهى ترجع فى نسبتها إلى إبى ابراهيم اسحاق بن جامع، وأصل آبائه من الأندلس من مدينة طليطلة وقد نشأ بضيعة تسمى روطة بساحل مدينة شريش على المحيط الأطلسى ثم انتقل إبراهيم بن جامع إلى بلاد المغرب وتعرف على المهدى بن تومرت ودخل فى دعوته ولازمه واعتبره البيذق من أهل داره، وقد خدم عبد المؤمن ابن على وعاش فى قصره وفى قصر عبد المؤمن ولد ابنه ادريس، الذى سيتولى الوزارة والحجابة لكل من عبد المؤمن بن على وابنه يوسف بن عبد المؤمن، وقد ظل أبو العلاء إدريس وأخوته وبنوه محل تجله واحترام إلى أن نكبهم الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن سنة ٥٧٣هـ (١١٧٨م).
أما قائد البحر محمد بن أبى اسحاق بن جامع فقد تولى قيادة الأسطول الموحدى المرابط فى مدينة سبتة وكان له دور كبير فى أعمال الجهاد البحرى ولاسيما ضد مملكة البرتغال. وقد أنجب محمد إبن أبى إسحاق بن جامع عدداً من الأولاد كان أشهرهم وأبرزهم ابو سعيد عثمان الذى تولى الوزارة للخليفة الموحدى محمد الناصر لدين الله ولابنه أبى يعقوب يوسف المستنصر بالله وقد توفى أبو سعيد عثمان ٦٢١هـ (١١٢٤م).
راجع: البيذق، اخبار المهدى بن تومرت، ص٢٨، ٢٩، ابن القطان، نظم الجمان، ص٣٢، ابن الابار، الحلة السيراء، جـ٢، ص٢٣٩، ٢٤٠، العبادى (د. أحمد مختار): دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس، الطبعة الأولى، الاسكندرية، ص١٦٣ - ١٦٦؛ عنان، عصر الموحدين، ص٥٩، ٩١، ٩٢.

(٢) ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص٢١٣؛ ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢٤١؛ الزركشى، تاريخ الدولتين، ص١٤؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا، جـ٢، ص١٥٤.

ولما توفي الخليفة يوسف بن عبد المؤمن فى الثانى من ربيع الآخر سنة ٥٨٠هـ (الثالث عشر من شهر يوليو سنة ١١٨٤م) تمت البيعة بإشبيلية لابنه أبى يوسف يعقوب المنصور وذلك يوم الأحد التاسع عشر من ربيع الآخر سنة ٥٨٠هـ (الثلاثين من شهر يوليو سنة ١١٨٤م)، ثم عبر البحر من الأندلس إلى المغرب ونزل بمدينة سلا ويقول صاحب المعجب: " وبها (أى سلا تمت بيعته واستجاب له من كان تلكأ عليه من أعمامه من ولد عبد المؤمن بعد ما ملأ أيديهم أموالاً وأقطعهم الأقطاع الواسعة."[١]

وفى عام ٥٨١هـ (١١٨٥م) أمر الخليفة بتغريب بنو حماد[٢] من بجاية إلى مدينة سلا لاتهامهم بالتواطؤ مع بنى غانية،[٣] بعد أن أرغمهم على تصفية أموالهم بها بثمن بخس، كما غُرب غيرهم من المشاركين فى

(١) عبد الواحد المراكشي، ص٣٨٣، ٣٨٤.

(٢) انقسمت الدولة الصنهاجية فى إفريقية والمغرب الأوسط فى عهد الأمير باديس بن المنصور بن بلكين فى أواخر القرن الرابع الهجرى إلى دولتين: الدولة الزيرية فى افريقية نسبة إلى زيرى بن مناد الصنهاجى والدولة الحمادية فى المغرب الأوسط نسبة إلى حماد بن بلكين بن زيرى، وقد اتخذت الدولة الحمادية من مدينة القلعة منزلاً ومقراً ثم بجاية التى بنيت من جديد فى عهد الناصر إبن علناس بن حماد سنة ٤٥٧هـ (١٠٦٥م). وعندما قامت دولة المرابطين فى بلاد المغرب الأقصى ساد التوتر بين المرابطين والحماديين ولكنه لم يؤد إلى صدام مسلح بين الطرفين، ولكن عندما قامت دولة الموحدين تمكنت من الاستيلاء على بجاية وانتهت دولة بنى حماد.

راجع: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثالث، ص٨٥ – ١٠٠؛ ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٣٢٢، ٣٤٩، ٣٦٠، ٣٦١؛ سالم، المغرب الإسلامى، ص٦٤٩ – ٦٥٥.

(٣) ينسب بنو غانية إلى أمهم غانية التى كانت من جوارى الأمير على بن يوسف بن تاشفين. تزوجها على بن يحيى المتوفى فولدت له محمداً ويحيى ابنى غانية. وقد عين على بن يوسف يحيى بن غانية على بلنسية ومرسية، ثم ولاه تاشفين بن علىّ على قرطبة سنة ٥٣٨هـ (١١٤٤م)، وقد شارك

هذه المؤامرة بعد أن صفيت أموالهم وديارهم.(١) وفى أواخر عام ٥٩٠هـ (١١٩٥م) عزم يعقوب المنصور التوجه إلى الأندلس للجهاد، وكتب فى استدعاء الجيوش والقواد، وسار إلى مدينة سلا ليكون اجتماع العساكر بظاهرها.(٢) وينفرد السلاوى الناصرى بالقول بأن الخليفة يعقوب المنصور قد توفى بمدينة سلا.(٣)

= فى إخماد ثورة ابن حمدين فى قرطبة ولكن ابن حمدين استغاث بملك قشتالة وأطمعه فى دخول قرطبة وقد أبلى ابن غانية فى دفاع النصارى أحسن البلاء، ودخل الملك القشتالى قرطبة بالفعل حينما بلغه أنباء استفحال سلطان الموحدين، فرأى من حسن الرأى أن يهادن ابن غانية حتى يكون سداً بينه وبين الموحدين. واستقر يحيى بقرطبة وتنقل بعدها بين شتى قواعد الأندلس حتى لجأ أخيراً إلى غرناطة آخر معاقل المرابطين بالأندلس فأقام بها شهرين ثم توفى فى الرابع من شعبان سنة ٥٤٣هـ (ديسمبر سنة ١١٤٨م)، أما محمد بن غانية فقد ولاه علي بن يوسف على الجزائر الشرقية سنة ٥٢٠هـ (١١٢٦م) وحين قامت دولة الموحدين لم يخضع بنو غانية لحكمها، وظل الجانبان فى حروب مستمرة حتى عام ٥٩٥هـ (١٢٠٢م) حينما استولى الناصر الموحدى على ميورقة وأخرج منها ابن غانية، بينما قضى عبد الواحد بن أبى حفص على يحيى بن غانية آخر زعماء هذا البيت نحبه فى افريقية عام ٦٠٦هـ (١٢٠٩م).

راجع: ابن القطان، نظم الجمان، ص٢٢٠، ٢٢١. ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، جـ٩، ص١٦٦ – ١٧١؛ ابن الخطيب، الاحاطة، جـ٤، ص٣٤٣ – ٣٤٧؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٥، ص٢٥٧، ٢٥٨؛ الزركشى، تاريخ الدولتين، ص١٥ – ١٨.

Alfred Bel: Les Banou Ghanaya, Paris, 1903, P.50 - 100.

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، جـ٣، ص١٨١؛ عنان، عصر الموحدين، ص١٥٤.

(٢) السلاوى الناصرى، الاستقصا، جـ٢، ص١٨٥.

(٣) الاستقصا، جـ٢، ص٢٠٢.

وفى عام ٦٣٥هـ (١٢٣٨م) تعرضت مدينة سلا لهجوم من جانب عمر بن وقاريط،[1] وكان ابن وقاريط عقب فراره إلى الأندلس قد استقر

---

(١) عمر بن وقاريط شيخ قبيلة هكسورة البربرية، أول إشارة وردت فى المصادر التاريخية عنه تعود إلى عام ٦٢٣هـ (١٢٢٦م) عندما عاث فى نواحى مراكش وشارك فى تخريب بلاد دكالة وفشل الخليفة الموحدى العادل فى إخماد حركته. وعندما تولى المأمون الموحدى الخلافة كان عمر بن وقاريط على رأس المؤيدين والمناصرين له، فلما توفى المأمون تولى ابنه الرشيد الخلافة فى مستهل المحرم سنة ٦٣٠هـ (١٨ أكتوبر سنة ١٢٣٢م) فقدم عمر بن وقاريط إلى مراكش بصحبة أولاد الخليفة المأمون إخوة الرشيد الصغار كى ينال عطف الرشيد وثقته. ولما وصل إلى مراكش توثقت أواصر المودة بينه وبين السيد أبى محمد ابن محمد ابن أبى سعد عم الخليفة الرشيد. وكان عمر بن وقاريط شعوراً منه بكثرة جمعه وتوطد نفوذ قبيلته يكثر من الرغبات والمطالب، وكان الرشيد يستجيب إلى معظم رغباته، ولكنه لم يلبث أن أظهر العصيان للرشيد فى طاعة منافسه يحيى المعتصم، فاضطر الرشيد لقتال عمر بن وقاريط ويحيى المعتصم، وعندما اشتد القتال تخاذل أنصار يحيى المعتصم وولوا الأدبار فاستولى عسكر الرشيد على ما فى محلاتهم. ولكن عمر بن وقاريط ويحيى المعتصم أعادا تنظيم صفوفهما مرة أخرى وتمكنا من إلحاق الهزيمة بجيوش الموحدين ودخلوا مراكش وتولى يحيى المعتصم مقاليد الخلافة وذلك فى أواخر عام ٦٣٢هـ (١٢٣٥م) ولكن الرشيد تمكن فى العام التالى من استرداد عاصمته وأوقع الهزيمة بيحيى المعتصم وعمر بن وقاريط، ففر الأخير إلى الأندلس ونزل لدى صديقه محمد بن هود الذى رحب به وشمله بعطفه.

راجع: ابن عذارى، البيان المغرب، هـ٥، ص٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٨، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٣٢، ٣٤٦، ٣٤٧؛ ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢٥٢، ٢٥٣؛ عنان، عصر الموحدين، ص٣٦٤، ٤٩٨، ٥٠٠، ٥٠٥.

بمدينة اشبيليه فى كنف محمد بن هود(1) وقرر الاستيلاء على مدينتى سلا ورباط الفتح، وأقنع ابن هود بأهمية هذا المشروع العسكرى وكان يتولى سلا الفقيه أبو العلى مع زوجه الحرة فاطمة بنت المأمون أخت الخليفة الرشيد، وطلب عمر بن وقاريط من صديقه محمد بن هود أن يمده بسفينتين

---

(1) أبو عبد الله محمد ابن يوسف بن هود الجذامى وينتمى إلى أسرة بنى هود التى حكمت سرقسطة فى زمن ملوك الطوائف. وقد ظهر هذا الثائر فى بداية أمره فى نواحى مرسية ونجح فى دخولها وهو يرفع راية عباسية سوداء، بويع له بمرسية فى غرة رمضان سنة ٦٢٥هـ (١٤ أغسطس سنة ١٢٢٨م) وتسمى بأمير المسلمين ومعز الدين، ودعا للخليفة العباسى المستنصر بالله، وكتب إليه ببغداد، فبعث إليه بالخلع والمراسيم وسماه مجاهد الدين سيف أمير المؤمنين عبد الله المتوكل على الله، وسرعان ما قوى أمره، وذاع ذكره واطاعته الكثير من مدن الأندلس كشاطبة وجزيرة شقر وجيان وقرطبة وغرناطة ومالقة والمرية، وقد حاول خلفاء الموحدين المأمون والرشيد القضاء على ثورة محمد بن هود إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل، ولكن ابن هود لم يلبث ان فقد الكثير من المدن الأندلسية الهامة التى استولى عليها النصارى إلى ان توفى سنة ٦٣٥هـ (١٢٣٧م).

راجع: عبد الواحد المراكشى، المعجب، ص٢٣٥، ٢٥٥؛ ابن عذارى، البيان المغرب، جـ٥، ص٢٧٠؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثانى، ص١٧٢؛ ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢٥٠، ٢٥١؛ عنان، عصر الموحدين، ص٣٩٠، ٣٩١.

Gaspar (Remiro): Historia de Murcia Musulamana (Zaragoza, 1903) P.276 -277.

ليدخل بهما سلاً فأعانه ابن هود بما طلبه ووصل إلى سلا: وكاد ان يستولى على ثغر سلا ولو ملكه لحصل على معقل الدنيا ارتفاعاً ووثاقه ومنعه،[1] ولكنه لقى مقاومة عنيفة واضطر إلى الانسحاب، فلما علم الخليفة الرشيد بما حدث أرسل إلى سلا فى استقدام أخته فاطمة وزوجها وكذلك أمه التى كانت فى زيارة لمدينة سلا.[2]

وعندما توفى الخليفة الرشيد يوم الجمعة العاشر من جمادى الآخرة سنة ٦٤٠هـ (الخامس من ديسمبر سنة ١٢٤٢م) تمت مبايعة أبى الحسن على بن أبى العلاء إدريس بن يعقوب المنصور بالخلافة وتلقب بالخليفة السعيد، فندب الخليفة أبا حفص عمر ليكون والياً على مدينة سلا.[3]

---

(١) ابن عذراى البيان المغرب، جـ٥، ص٣٣٤.

(٢) ابن عذراى، المصدر السابق، جـ٥، ص٣٤٤، ٣٤٥؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا، جـ٢، ص٢٤٥، عنان، عصر الموحدين، ص٥٠٩.

(٣) ابن عذارى، البيان المغرب، جـ٥، ص٣٨٨؛ ابن عبد الملك (محمد بن محمد بن سعيد المراكشى): الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة تحقيق محمد بن شريفة، الرباط، ١٩٨٤م، السفر الأول، القسم الأول، ص١٧٨، ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢٥٨؛ عنان، عصر الموحدين، ص٥٢٢.

ولما توفى الخليفة السعيد فى شهر صفر سنة ٦٤٦هـ (يونيو سنة ١١٤٨م) عقد السيد أبوزيد أخو الخليفة اجتماعاً حضره أشياخ الموحدين، واقترح بعضهم أن يولى السيد أبو زيد الخلافة فامتنع الأخير، وأراد آخرون تقديم غيره من بنى عبد المؤمن، بينما اقترح أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجنفيسى اختيار السيد أبى حفص عمر والى سلا: "لطهارته وصيانته"، فوافق الحاضرون، وعقدت له البيعة بجامع المنصور بمدينة مراكش، وتوجه، بها أحد أشياخ الموحدين ويدعى ابن أصلماط إلى سلا، ولكنه لقى السيد أبا حفص عمر مقبلاً من سلا إلى مراكش مع بعض الموحدين وأشياخ العرب، فبادر ابن أصلماط بمبايعته وأخرج إليه بيعة أهل مراكش، وضُربت قبة لاجتماع الناس لقراءة البيعة، فقرئت، وبايعه جميع من حضر من الموحدين والفقهاء والأشياخ ثم ارتحل إلى مدينة مراكش فدخلها وجددت له البيعة بها، وتلقب بلقب الخليفة المرتضى لأمر الله،[1] وقد ولى الخليفة المرتضى على مدينة سلا أبو عبد الله بن أبى يعلى الكومى.[2]

---

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، حـ٥، ص٣٨٨؛ ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص٢٥٨؛ عنان، عصر الموحدين، ص٥٢٩.

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، جـ٣، ص٣٩٩.

سلا فى عصر بنى مرين(1)

كان المرينيون يتطلعون للقيام بعملية عسكرية يستولون بها على مدينتى سلا ورباط الفتح، لان الاستيلاء على هاتين المدينتين مــن شأنه أن

(1) قامت الدولة المرينية فى المغرب الأقصى فى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) واستمرت قرابة قرنين من الزمان. وكان بنو مرين فخذاً قوياً من أفخاذ قبيلة زناتة البترية. وقد غلب طابع البداوة والحل والترحال على حياة المرينيين قبل دخولهم إلى المغرب الأقصى، وكان من ابرز زعمائهم فى تلك الفترة المبكرة من تاريخهم جدهم الأعلى ماخوخ الزناتى، وبعد موت ماخوخ الزناتى تألق نجم مرين بن ورتاجن بن ماخوخ الذى تفرعت عنه قبائل بنى مرين، ثم توالت رئاسة قبائل زناتة فى أحفاد مرين بن ورتاجن حتى وصلت إلى محمد بن ورزير الذى كان له سبعة أولاد أبرزهم الشقيقان حمامة وعسكر اللذين توليا زعامة بنى مرين، وعسكر هو والد المخضب أشهر زعماء بنى مرين قبل دخولهم إلى المغرب الأقصى، وبعد مقتل المخضب على أيدى الموحدين سنة ٥٤٠هـ (١١٤٥م) انتقلت زعامة بنى مرين إلى الفرع المرينى الأخر وهم أبناء حمامة بن محمد بن ورزير، حيث تولى أبو بكر بن حمامة زعامة بنى مرين، ثم خلفه ابنه أبو خالد محيو بن أبى بكر الذى أصيب فى معركة الأرك سنة ٥٩١هـ (١١٩٥م) إصابة كانت السبب فى وفاته. وعندما بدأ الضعف يدب فى كيان دولة الموحدين ازدادات أطماع المرينيين فى أملاكهم. وكان أول قيام لبنى مرين فى سنة ٦١٣هـ (١٢١٦م) على عهد أميرهم أبى محمد عبد الحق بن محيو الذى احتل مكناسة وتازا ثم تدعمت أركان هذه الدولة فى عهد الأمير أبو سعيد عثمان بن عبد الحق ثم عهد أخيه الأمير أبو معرف محمد بن عبد الحق ثم عهد الأمير أبو بكر بن عبد الحق، وأخيراً جاء الأمير أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المرينى وقضى على أخر الخلفاء الموحدين، أبى دبوس، واستولى على عاصمتهم مراكش سنة ٦٦٨هـ (١٢٦٩م).

راجع عن بنى مرين: عبد الواحد المراكشى، المعجب، ص٣١٥، ٣١٦، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣؛ ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٠١، ٣٠٥، ٣١١، ٣١٥، ٣٢٠، ابن أبى زرع، الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية، الرباط، ١٩٧٢ ص١٤، ٢٠، ٢١، ٢٥، ٤١، ٦٠، ٦٤، ٦٦؛ابن مرزوق (محمد بن أحمد ابن أبى بكر): المسند الصحيح الحسن فـــى مآثر=

يقطع كل اتصال للموحدين بشمال المغرب الأقصى، فيبقوا وكأنهم محاصرون فى جنوب المغرب الأقصى. وكان الخليفة الموحدى المرتضى يستشعر موضع الضربة القادمة للمرينيين، فقرر أن يبدأ هو بالهجوم على بنى مرين بهدف إيقاف زحفهم نحو مدينتى سلا ورباط الفتح وذلك بمنعهم من عبور وادى أبى رقراق إلى أرض تامسنا، وقد أغرى المرتضى وشجعه على القيام بهذه العملية العسكرية زعيمان من زعماء بنى مرين هما أبو عمران موسى بن زيان المونكاس، وأخوه على بن زيان، وكانا قد انشقا على الأمير أبى بكر بن عبد الحق المرينى ولحقا ببلاط الموحدين بمراكش سنة ٦٤٨هـ (١٢٥٠م) فاكرم المرتضى وفادتهما ورتب لهما أموالاً سخيةً. وقد أخذ الخليفة المرتضى يحشد حشوده، وأرسل إلى الاندلس ليرسلوا إليه فرقة

= ومحاسن مولانا أبى الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، ١٩٨١م، ص١٠٩، ١١٠؛ ابن الأحمر (أبو الوليد اسماعيل بن يوسف): روضة النسرين فى دولة بنى مرين، الدار البيضاء، ١٩٦٢م، ص٩، ١٠، ١١، ١٥، ١٩؛ ابن خلدون، العبر، جـ٧، ٢٢١، ٢٢٢، ٣٤١، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٧؛ القلقشندى، صبح الاعشى فى صناعة الانشا، جـ٥، ص١٩٤، ١٩٥، ١٩٦؛ الزركشى، تاريخ الدولتين، ص١٠٣، ١٠٤؛ ابن أبى دينار (أبو عبد الله محمد بن القاسم القيروانى): المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس، طبعة تونس، ١٩٦٧م، ص١٤٥، ١٤٦، السلاوى الناصرى، الاستقصا، جـ٢، ص١٢٤، ١٢٥، جـ٣، ص١٧، ١٨؛ سالم، المغرب الاسلامى، ص٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩؛ العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٠٥، ٢٠٦؛ الحريرى (محمد عيسى) تاريخ المغرب الإسلامى والأندلس فى العصر المرينى، طبعة الكويت، ١٩٨٥، ص٧، ٩، ١٠، ١٨، ٢٠، ٢٢.

من الجند النصارى المرتزقة: "ليركبهم معه ويكونوا له أعواناً وانصاراً" وخرج المرتضى على رأس تلك الحشود من مدينة مراكش في غرة رمضان سنة ٦٤٩هـ (١٢٥١م) فسار إلى تينملل لزيارة قبر المهدى بن تومرت وفى الخامس من رمضان من نفس العام اتخذ طريقه إلى مدينة سلا، فقضى بها عدة أيام للتعرف على أخبار بنى مرين، ثم تحرك من سلا للقاء المرينيين، فلما علم الأمير أبوبكر بن عبد الحق المرينى بتحرك الخليفة المرتضى للقائه، اجتمع مع زعماء بنى مرين، وقرروا مخاطبة المرتضى والكتابة إليه، وكتب أبو بكر بن عبد الحق المرينى طالباً منه المهادنة والمصالحة، وكاد المرتضى يميل إلى مسالمتهم ومصالحتهم، ولكن وزراءه اعترضوا على ذلك وقالوا له: "لايصلح فى مكان واحد ملكان."(١)

حدث اللقاء بين الموحدين والمرينيين بموضع يسمى أمن ملولينين (أو أميلولين) من أحواز مكناسة، وكان الأمير أبو بكر بن عبد الحق قد استعد لقتال الموحدين، فكمن الكمائن للإيقاع بهم، فلما فشل المرينيون، لجأوا إلى الحيلة والدهاء بأن أشاعوا أن صلحاً عقد بين المرتضى الموحدى وبين

---

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، حـ٥، ص٣٩٩، ٤٠٠؛ عنان، عصر الموحدين، ص٥٤٠، ٥٤١.

المرينيين، وعلى أثر ذلك انسحبت القوات الموحدية دون أن تصدر إليها الأوامر من المرتضى، فى حالة من الارتباك وفى غير نظام إلى مدينة أزمور،[1] ولاحق بنو مرين فلول الجيش الموحدى المنسحب وانتزعوا منه الكثير من العتاد والأمتعة، بينما انسحب الخليفة المرتضى إلى مدينة مراكش.[2]

سارع المرينيون إلى استثمار هذا الانتصار الكبير، فتقدم الأمير أبو بكر بن عبد الحق المرينى إلى بلاد فازاز فافتتحها وأحكم قبضته على أوطان زناته وفرض الضرائب عليهم جميعاً، ثم تقدم صوب المغرب الأقصى وتمكن من الاستيلاء على مدينة سلا فى نفس العام (٥٤٩هـ / ١٢٥١م)

---

(١) أزمور Azemmur مدينة صغيرة على شاطئ المحيط الأطلسى، تقع على الضفة اليسرى لمصب نهر أم الربيع. وقد اشتهرت ببساتينها الغناء الممتدة على ضفتى النهر.

راجع: ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى المغرب والأندلس، تحقيق، د. أحمد مختار العبادى، الإسكندرية، ١٩٨٣م، ص١٠٦؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٣، ٢٠٥.

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، جـ٥، ص٤٠٠، ٤٠١؛ عنان، عصر الموحدين، ص٥٤١؛ الحريرى، تاريخ المغرب الإسلامى والأندلس فى العصر المرينى، ص٢٤.

وولى عليها ابن أخيه يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق المرينى،(١) ولكن الجيش الموحدى سرعان ما أسترد سلا فى العام التالى (٦٥٠هـ/١٢٥٢م) وولى عليها أبو عبد الله بن يعلو من أشياخ الموحدين،(٢) ويرى د. الحريرى أن نجاح الموحدين فى استرجاع سلا كان بسبب وجود حامية مرينية صغيرة بمدينة سلا لم تستطع مقاومة الجيش الذى أرسله الخليفة المرتضى.(٣)

أصبح وقف بنى مرين عن التقدم غرباً إلى مدينتى سلا ورباط الفتح بالنسبة للموحدين مسألة حياة أو موت، ولذا عزم الخليفة المرتضى المسير بنفسه لقتال بنى مرين، فخرج من مدينة مراكش سنة٦٥٣هـ (١٢٥٥م) – كعادته– إلى تينملل للتبرك بزيارة قبر المهدى بن تومرت، ثم اتجه صوب مدينة سلا على رأس جيش ضخم بلغ ثمانين ألفاً من الموحدين والعرب والمصامدة والأندلسيين، ثم غادر سلا فى تلك الحشود إلى مدينة فاس لاستردادها من أيدى المرينيين، وحدث اللقاء بين الجيشين الموحدى والمرينى فى موضع يسمى بجبل بهلول جنوب فاس حيث دارت الدائرة على جيوش

---

(١) ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص٢؛ ابن القاضى، جذوة الاقتباس، ق١، ص١٠٤؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا، جـ٢، ص٢٥٣؛ عنان، عصر الموحدي، ص٥٤٢؛ الحريرى، المرجع السابق، ص٢٤، ٢٥.

(٢) السلاوى الناصرى، المصدر السابق، جـ٢، ٢٥٣، جـ٣ ص١٧.

(٣) تاريخ المغرب الإسلامى والأندلس فى العصر المرينى، ص٢٥.

الموحدين وفى ذلك يقول ابن عذارى المراكشى: " فكان سيف أبى بكر عليه بالنصر مسلولاً، فنصر الله بنى مرين على عساكر الموحدين، فهزموهم، واستأصلوهم أعظم استئصال بعد ما دام بينهم القتال، فلم يك إلا لمحة لامح أو صيحة صائح، إلاوقد انهزمت جيوشهم المتكاثرة، وصارت بعد انتظامها متناثرة واستولت بنو مرين على اثقال الموحدين وعلى مضارب المرتضى وجماعته، وعلى ما كان من الأطعمة وغيرها فى خزائنه، وعلى الأحمال والبغال والجمال والأموال."(١)

توفى الأمير أبو بكر بن عبد الحق المرينى فى شهر جمادى الآخرة، سنة٦٥٦هـ (يونيو سنة ١٢٥٨م) بعد أن كان بنو مرين قد بسطوا نفوذهم على شرق وشمال المغرب الأقصى والسهول الغربية حتى وادى أم الربيع وبلاد الأطلس الأوسط، بينما انحصر نفوذ الموحدين فى المنطقة الواقعة بين وادى أبى رقراق ووادى أم الربيع وفيها سهل تامسنا وثغرا سلا ورباط الفتح. وقد ظهر خلاف حاد حول إمارة بنى مرين بعد وفاة الأمير أبى بكر إبن عبد الحق الذى لم يعهد لشخص معين من بعده بإدارة شؤون بنى مرين مما نتج عنه خلاف شديد بين الأمير أبى حفص عمر بن أبى بكر وبين عمه الأمير يعقوب بن عبد الحق فحين توفى الأمير أبو بكر كان يعقوب غائباً عن

---

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، جـ٣، ص٤٠٦، ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص٢٥٨، ٢٥٩؛ عنان، عصر الموحدين، ص٥٤٤؛ الحريرى، تاريخ المغرب الإسلامى والأندلس فى العصر المرينى، ص٢٥.

فاس مقر الحكم المرينى حيث كان يقيم فى أقليم رباط تازا[1] الذى كلفه أخوه الأمير أبو بكر بحكمه، بينما كان الأمير أبو حفص عمر حين وفاة والده متواجداً فى فاس، لذلك طمع عمر فى الإمارة ودعا الناس إلى بيعته ونصب نفسه أميراً على بنى مرين خلفاً لوالده، ولكن معظم أشياخ بنى مرين امتنعوا عن مبايعته. وما إن علم الأمير يعقوب بن عبد الحق بوفاة أخيه حتى توجه من رباط تازا إلى فاس، فالتف حوله أشياخ بنى مرين ورغبوا فى مبايعته مما كان سيؤدى إلى حدوث الفتنة والانقسام فى صفوف المرينيين، إلا أن الأمير يعقوب بن عبد الحق كان يسعى لإنهاء هذا الوضع المتأزم، فتنازل عن الإمارة لابن أخيه أبى حفص عمر على شرط أن يبقى ليعقوب إمارة المناطق التى كان أخوه الأمير أبو بكر قد أقطعه إياها وكلفه بحكمها وخاصة رباط تازا، وتم الاتفاق بينهما على ذلك، وعاد يعقوب إلى رباط تازا، ولكن أشياخ الموحدين لم يكونوا راضيين عن هذا الصلح، فلحقوا بيعقوب فى رباط تازا وبايعوه على الموت بين يديه فلما رأى إصرارهم على

---

(١) تازا TAZA ومعناها بالبربرية الصخرة، تقع فى شرق مدينة فاس، وتمتاز تازا بموقعها الاستراتيجى مما جعلها منذ أقدم العصور مركزاً حربياً له خطورته، ومكانتها الحربية اتخذها الحسن بن إدريس الثانى مقراً حربياً كما عنى بها عبد المؤمن بن على الموحدى فجعلها حصناً منيعاً، وفى أيام بنى مرين اتخذها أبو يعقوب المرينى قاعدة لغزو تلمسان والمغرب الأوسط.

راجع: البكرى، المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص١١٨؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثالث، هامش(٣) ص٢١٠، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، هامش(٢) ص١١٤.

توليه الإمارة أجابهم إلى مايدعونه ووافقهم على أخذ البيعة منهم برباط تازا، ثم زحف إلى فاس حيث تمكن من إيقاع الهزيمة بابن أخيه أبى حفص عمر، ولكن الأمر انتهى بعقد الصلح بينهما وتم تنازل عمر عن الحكم لعمه يعقوب مقابل أن يقطعه مدينة مكناسة وأحوازها ودخل يعقوب بن عبد الحق فاس فى شهر شوال سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م).(١)

وكانت سلا – كما سبق أن أشرنا– قد خضعت لحكم الأمير أبى بكر ابن عبد الحق المرينى عام٦٤٩هـ (١٢٥١م) وعين عليها ابن أخيه يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق والياً من قبله، وقد استطاع الخليفة المرتضى الموحدى طرد بنى مرين من سلا وإعادتها إلى حكم الموحدين بعد عام واحد (٦٥٠هـ/١٢٥٢م) وعين أبو عبد الله بن أبى يعلى والياً على سلا، بينما فر يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق المرينى حيث أقام فى بعض أحواز سلا يتحين الفرصة لاستردادها فلما بويع الأمير يعقوب بن عبد الحق بحكم بنى مرين سنة٦٥٦هـ (١٢٥٨م) اتجه يعقوب بن عبد الله إلى بلاد تامسنا مغاضباً لعمه يعقوب بن عبد الحق على أثر خلاف نشب بينهما، ولم تشر المصادر إلى أسباب هذا الخلاف إلا أنه يفهم من تاريخ ابن عذارى

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، جـ٥، ص٤١٥؛ ابن أبى زرع، الذخيرة السنية، ص٨٧، ٨٨؛ ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢٣٤، ٢٣٥؛ القلقشندى صبح الأعشى، جـ٥، ١٩٦؛ ابن القاضى، جذوة الاقتباس، ق١، ص٤٩٢؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا، جـ٢، ص١٩، ٢٠، جـ٣، ص١٠٥-١٠٨؛ عنان، عصر الموحدين، ص٥٤٦.

المراكشى هذه الحادثة أن خروج يعقوب بن عبد الله على عمه كان بعد وفاة الأمير عمر بن أبى بكر المرينى سنة ٦٥٨هـ (١٢٦٠م) إذ يبدو أن يعقوب بن عبد اللله كان من انصار عمر بن أبى بكر وكان يرى أنه أحق بوراثة حكم بنى مرين بعد أبيه أبى بكر، ولذلك حينما توفى الأمير عمر رأى يعقوب بن عبد الله أن الطريق أصبح ممهداً أمامه للمطالبة بحكم بنى مرين وانتزاعه من يد عمه يعقوب بن عبد الحق خاصة وأنه فى ذلك الوقت كان أكبر بنى مرين.(١) ولذلك لم يظهر يعقوب بن عبد الله فى أول الأمر نواياه فى الخروج على عمه، بل أظهر رغبته فى الاستيطان فى بلاد تامسنا رغبة فى الاقامة بعيداً عن أمور السياسة والحكم ورغبة فى ممارسة هواية الصيد بها، وحين وصل يعقوب بن عبد الله إلى بلاد تامسنا أخذ يراقب أوضاع مدينتى سلا ورباط الفتح رغبة فى الاستيلاء عليهما واتخاذهما مقراً لاظهار ثورته.(٢)

أخذ يعقوب بن عبد الله يتأهب للاستيلاء على مدينة سلا وكان واليها الموحدى محمد بن أبى يعلى الكومى قد اتخذ كافة الاستعدادات لحماية المدينة والدفاع عنها: "فحفزها غاية الحفز بالسمار فى الأسواق وبما أمكنه

---

(١) البيان المغرب، حـ٥، ص٤١٦.

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، حـ٥، ص٤١٦؛ ابن أبى زرع، الذخيرة السنية، ص٩٨؛ ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢٣٦؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا، جـ٣، ص٢١؛ الحريرى، تاريخ المغرب الإسلامى والأندلس فى العصر المرينى، ص٢٩.

من الحرز، وعمل المعارض على كل باب من أبواب العدوتين المذكورتين وجعل الرماة والرجال يحرسونها ولاساعة من ليل أو نهار يفارقونها.(١)
اتجه يعقوب بن عبد الله برجاله ليلاً إلى مدينة سلا واستعملوا السلالم فى الاستيلاء على سورها، وتمكنوا من قتل القائمين على حراسته، ثم كسروا أبواب المدينة ودخلوها وقاموا بأعمال السلب والنهب طوال الليل والنهار بينما فر أهلها عنها أما واليها محمد بن أبى يعلى فقد فر هو الآخر فى سفينة صغيرة إلى مدينة أزمور، وتملك يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق المرينى مدينتى سلا ورباط الفتح وذلك سنة ٦٥٨هـ (١٢٦٠م).(٢)

---

(١) ابن عذارى، المصدر السابق، جـ٥، ص٤١٦.

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، جـ٥، ص٤١٦، ٤١٧.

يقول ابن أبى زرع ويتفق معه كل من ابن خلدون والسلاوى الناصرى ان يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق المرينى استطاع ان يدخل مدينة سلا بالحيلة والدهاء، إذ دخلها بإذن من واليها الموحدى محمد بن أبى يعلى الكومى على أنه يريد دخول حمامها، حتى إذ ما دخل المدينة اتجه إلى قصبتها واحتمى بها واخرج عنها ابن أبى يعلى الذى لم يجد وسيلة إلا الفرار بحراً إلى أزمور ومنها إلى مراكش.

راجع: الذخيرة السنية، ص٩٣، العبر وديوان المبتدأ والخبر، جـ٧، ص٢٣٦؛ الاستقصا، جـ٣، ص٢١. وانظر أيضاً عنان، عصر الموحدين، ص٥٤٧، ٥٤٨؛ الحريرى، تاريخ المغرب الإسلامى والأندلس فى العصر المرينى، ص٢٩.

A.Ballesteros Beretta: La Toma de Salé en tiempos de Alfonso X El Sabio, Al- Andalus, 1943, Fasc, 1, P.114-115.

أعلن يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق المرينى -عقب استيلائه على رباط الفتح وسلا- خلع طاعة عمه يعقوب بن عبد الحق وصرف عزمه على منازعته، وضم إلى صفوفه الكثير من جند بنى مرين، ونظراً لحاجته "إلى السلاح الذى يقوى جانبه ويستطيع أن يواجه به قوات عمه السلطان ويحقق مطامعه فى الحكم بدأ فى الاتصال ومراسلة تجار السلاح الذين كثر ترددهم على مدينة سلا وقتئذ لتزويده بما يحتاجه، ولم يكتف بذلك إذ رأى أنه لابد له من قوة عسكرية تكون إلى جانبه فى قتاله لعمه السلطان لذلك بعث إلى الفونسو العاشر (العالم) Alfonso X El Sabio ملك قشتالة يطلب منه أن يمده بمائتى مقاتل ليكونوا عوناً له، وفى نفس الوقت اتهم أشياخ سلا بالكتابة إلى عمه ومخاطبته سراً وخشى أن يبايعوه ويتمردون عليه، فأمر بنزع سلاحهم وكان على حد قول ابن عذارى: تدبيراً خالياً من السداد والصلاح."(١)

وعندما وصل كتاب يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق إلى الفونسو العاشر ملك قشتالة، وجدها فرصة مناسبة للاستيلاء على مدينتى سلا ورباط الفتح ومد نفوذه إلى العدوة المغربية مستغلاً فى ذلك ضعف يعقوب بن عبد الله وانشغال الأمير يعقوب بن عبد الحق بحربه ضد بنى عبد الواد

---

(١) البيان المغرب، جـ٥، ص٤١٧.

ملوك تلمسان،[1] كما كان الفونسو العاشر يتطلع إلى نقل الحروب الصليبية من الميدان الأسبانى إلى الميدان المغربى ولاسيما أن البابوية كانت من أشد المتحمسين لتلك الحروب الصليبية، فهناك وثيقة بابوية مؤرخة فى الثامن من أكتوبر عام ١٢٤٦م وصادرة عن المجمع الدينى المنعقد فى مدينة ليون برئاسة البابا أنوسنت الرابع تحض على نقل الحروب الصليبية إلى الشمال الأفريقى وتنص صراحة على ضرورة الاستيلاء علـــى مدينتى ســـلا ورباط

---

(١) ينسب بنو عبد الواد إلى قبيلة بنى الواد إحدى بطون قبيلة زناتة البربرية فهم أبناء عمومه لبنى مرين، ولقد خضع بنو عبد الواد فى بداية أمرهم للدولة الموحدية حين قوتها وتمكنها، وكانوا على عداء مع أبناء عمومتهم المرينيين وكثيراً ما وقفوا إلى جانب الموحدين ضد بنى مرين، كما استعانت بهم الدولة الموحدية فى القضاء على تحركات وثورات المرينيين ضدها مما أدى إلى وجود عداء بين البيتين المرينى والعبد الوادى. وعندما أقام المرينيون دولتهم فى المغرب الأقصى لم يرض أى من الطرفين من أن يجاور الآخر فاشتد النزاع بينهما ولاسيما أن بنو عبد الواد أدركوا إن استيلاء بنى مرين على المغرب الاقصى يشكل خطراً كبيراً على دولتهم ولذا لجأ بنو عبد الواد إلى ألتحالف مع الموحدين قبل سقوط دولتهم والهجوم العسكرى كلما سنحت لهم الفرصة على البلاد المرينية الشرقية المحاذية لهم والتحالف مع بنى الأحمر حكام غرناطة. وكانت حدود دولة بنى عبد الواد تمتد طولاً من البحر المتوسط شمالاً إلى صحراء الجزائر جنوباً، وعرضاً من جبال سعيدة ووادى منية شرقاً إلى وادى ملوية ومدينة وجدة غرباً، وقد انتهت مملكة بنو عبد الواد سنة ٧٩١هـ(١٣٨٩م)

راجع: مؤلف مجهول، الاستبصار، ص١١١، ١١٢؛ ابن أبى زرع، الذخيرة السنية، ص٢٥، ٢٦، ٦٥، ٨٩؛ ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٧؛ القلقشندى، صبح الاعشى، جـ٥، ص١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ٢٠٢، العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس، ص١٩٨، ١٩٩.

الفتح الاستراتيجيتين.[١] ولذلك أخذ الفونسو العاشر فى تعمير أساطيله في ميناء أشبيلية، وحين اكتمل استعداده قرر إرسال حملة بحرية للاستيلاء على مدينة سلا.[٢]

ويبدو أن القائمين على حماية وحراسة السواحل المغربية قد استشعروا بوجود خطر يهدد الثغور المغربية ولاسيما المطلة على المحيط الأطلسى ولذلك قام الفقيه أبو القاسم بن أبى العباس العزفى صاحب سبتة بتحذير أهل السواحل المغربية، يؤكد ذلك الرسالة التى أرسلها الخليفة المرتضى إلى أبى القاسم العزفى يشكره على ما قام به من تحذير سكان السواحل المغربية وتاريخها الثالث من ذى القعدة سنة ٦٥٨هـ (نوفمبر سنة ١٢٦٠م).[٢]

---

(١) A. Ballesteros Beretta, La toma de Salé en tiemhos de Alfonso X El Sabio, P. 104-105.

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، جـ٥، ص٤١٧، ٤١٨؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا، جـ٣، ص٢١؛ عنان، عصر الموحدين، ص٥٤٨؛ حركات، الجيش المغربى فى عهد بنى مرين، مجلة كلية الآداب بالرباط، العدد الثامن، ١٩٨٢م، ص١٩، ٢٠. الحريرى، المرجع السابق، ص٢٩.

A. Ballesteros Beretta, La toma de Salé en tiempos de Alfonso X El Sabio, P.114.

Miranda: La toma de Salé por la escuadra de Alfonso X, nuevo datos, R. Hesperis, année, 1952, 1 et 2, P.25-26.

(٢) أورد ابن عذارى نص هذه الرسالة ومنها: "وقد طرأ فى مدينة سلا جبرها الله سبحانه واستنقذها ما قد اتصل بكم مما كنتم أبداً منه تحذرون وبه لعلمكم بالعدو الكافر تنذرون، ولكن لم تزد الأقدار لمن فيها إلا انهمالاً فى الاضاعة وإذهالاً لمن محل فى أعماله الساعة بعد الساعة، حين نفذ المقدور ووقع المحذور ولاحول ولاقوة الا بالله الذى تصير إليه الأمور."

راجع نص الرسالة فى البيان المغرب، جـ٥، ص٤١٩، ٤٢٠.

اتجهت الحملة البحرية القشتالية فى أواخر رمضان ٦٥٨هـ (سبتمبر ١٢٦٠م) إلى سواحل سلا، ومن المرجح أن القشتاليين قد لجأوا إلى التمويه، حيث أرسلوا سفينة وراء سفينة أمام سواحل سلا متظاهرين أنهم جاءوا لعقد الصفقات التجارية، بينما كان معظم الأسطول القشتالى مرابطاً على مقربة من سلا، ولذلك ظن أهل سلا أنهم تجار جاءوا -كعادتهم- للتجارة، بينما ظن يعقوب بن عبد الله أنها تحمل الجند المائتين الذين طلبهم من الفونسو العاشر ملك قشتالة، ولكن فجأة أخذت قطع الأسطول تتقدم بسرعة صوب سواحل سلا حتى بلغ عددها ما يقرب من سبع وثلاثين قطعة بحرية. وقد انتهز القشتاليون انشغال المسلمين بالاحتفال بعيد الفطر، فقاموا يوم الجمعة الثانى من شوال سنة ٦٥٨هـ (العاشر من سبتمبر ١٢٦٠) بالهجوم المباغت على مدينة سلا فدافع أهلها عنها دفاعاً مجيداً – بعد أن ذهب عنهم تأثير المفاجأة – واستشهد منهم الكثيرين، كذلك مات منهم الكثير فى الزحام عندما حاولوا مغادرة المدينة. أما عن يعقوب بن عبد الله، فقد كان متحصناً بالقصبة، "يعض على يديه على قبيح ما جرى ويشاهد ما تسبب فيه فعله، وبقى يعض بنانه ندماً وأسفاً على ما جرى لأهل سلا." وكان النصارى القشتاليون عندما دخلوا مدينة سلا غدراً قتلوا من وجدوه من الرجال وسبوا النساء والأطفال: "فكانوا يعبثون فى النساء والأبكار ويقتلون الشيوخ والعجائز الكبار، فسفكوا الدماء وهتكوا الأستار وخربوا المساجـــد، والديار

وعمروا بالتراس والقسى الأسوار.[1] وفى الوقت الذى هاجم فيه النصارى القشتاليون مدينة سلا واستولوا عليها كان السلطان يعقوب بن عبد الحق المرينى مقيماً فى مدينة تازا يستطلع منها أخبار بنى عبد الواد بالمغرب الأوسط، وكان السلطان المرينى قد وصل رباط تازا يوم الاثنين غرة شعبان من نفس العام (٦٥٨هـ/ الثانى عشر من يوليو سنة ١٢٦٠هـ) فأقام فيها إلى اليوم الرابع من شوال فلما علم بما حدث لمدينة سلا، بادر على الفور بمغادرة رباط تازا فى نحو الخمسين فارساً وتوجه على وجه السرعة إلى سلا، فوصلها فى يوم وليلة بما يشبه الإعجاز العسكرى، وتتابعت عليه الإمدادات من أنحاء بلاد المغرب وإفريقية، فحاصر النصارى القشتاليين بمدينة سلا وضيق عليهم واستمر القتال ليلاً ،نهاراً، وقد أيقن القشتاليون استحالة الاحتفاظ بسلا ولذا كان يخرجون الأسرى من أهلها والأموال والأمتعة إلى سفنهم المرابطة أمام سواحلها، وقد اضطر القشتاليون أخيراً إلى الانسحاب وذلك يوم الأربعاء الرابع عشر من شوال سنة ٦٥٨ هـ

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، جـ٣، ص٤١٨. وانظر أيضاً ابن زرع، روض القرطاس، ص٣٠١، الذخيرة السنية، ص٩٣؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا، جـ٢، ص٢١؛ عنان، عصر الموحدين، ص٥٤٨؛ السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص٣٢٩؛ حركات، الجيش المغربى فى عهد بنى مرين، ص٢٧، ٢٨؛ الحريرى، تاريخ المغرب الاسلامى والاندلس فى العصر المرينى، ص٢٩.
A.Ballesteros Beretta, La toma de Salé en tiempos de Alfonso X El Sabio, P.114.
Miranda, La toma de Salé por La escuadra de Alfonso X nuevo datos, P.27.

(الثانى والعشرين من شهر سبتمبرسنة ١٢٦٠هـ)[١]، وعندما دخل السلطان يعقوب بن عبد الحق المرينى مدينة سلا، شرع فى بناء السور الغربى لها حيث لم يكن بها سور من تلك الجهة، كما عين السلطان على سلا أبا عبدالله بن أحمد الفنزارى وأمره باستمرار أعمال البناء والتشييد والإصلاح والتجديد[٢]. أما عن يعقوب بن عبدالله بن عبدالحق المرينى، فكان قد فر من القصبة إلى حصن علودان من جبال غمارة وامتنع به، فكلف السلطان يعقوب ابنه وولى عهده الأمير أبا مالك عبدالواحد والقائد على بن زيان بمطاردة يعقوب بن عبدالله ولكن دون جدوى، وقد ظل يعقوب خارجاً عن الطاعة إلى سنة ٦٦٨ هـ (١٢٦٩م) حيث قتل بساقية غبولة من ضواحى مدينة سلا[٣].

أما عن النصارى القشتاليين، فقد خرجوا من سلا على وجه السرعة ودون أن يتزودوا بالماء والطعام، وساروا بحذاء الساحل ولكنهم فشلوا فى الحصول على الماء والطعام فقد تصدى لهم المسلمون على طول السواحل رجالاً وفرساناً وألحقوا بهم الكثير من الخسائر ومنعوهم من التزود بالماء

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، جـ٥، ص ٤٢١، ٤٢٢؛ ابن ابى زرع، روض القرطاس ص ٣٠١؛ الذخيرة السنية، ص ٩٣، ٩٤؛ القلقشندى، صبح الاعشى، جـ٥، ص ٤٢٠، ٤٢١؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا، جـ٣، ص ٢١، ٢٢؛ ابن القاضى، جذوة الاقتباس، ق٢، ص ٥٥٧، ٥٥٨؛ بروفنسال، نخب تاريخية جامعة لاخبار المغرب الاقصى، باريس؛ ١٩٢٣م، ص ٥٣، ٥٤؛ عنان، عصر الموحدين، ص ٥٤٩؛ الحريرى، تاريخ المغرب الإسلامى والأندلسى فى العصر المرينى، ص ٣٠.

A. Ballesteros Beretta, La toma de Sale en Tiempos de Alfonso X Elsabio, P. 115-117.
Miranda, La toma de Salé for La escuadra de Alfonso X, P.30-32.

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، جـ٣، ص ٤٢٢؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا، جـ٣، ص ٢٢.

(٣) السلاوى، المصدر السابق، ص ٢٤؛ عنان، عصر الموحدين، ص ٥٤٩؛ الحريرى، المرجع السابق، ص ٣٠

والطعام، ووصلت منهم سفينة إلى جهة العرائش وأرادوا التزود بالماء فعجزوا، فحاولوا شراءه ببعض مالديهم من أسرى المسلمين، فوافق أهل العرائش على تزويدهم بالماء مقابل اطلاق سراح ثلاثة وخمسين أسيراً اكثرهم من النساء والأطفال. وقيل ان الملك الفونسو العاشر ملك قشتالة، قرر حرق رؤسائهم لتغريرهم به في هذه المغامرة الفاشلة وطلب نحو عشرين منهم الأمان، فأمنهم السلطان يعقوب بن عبدالحق والحقهم بخدمته، وكان الفونسو العاشر - قبل ان يعلم بفشل تلك الحملة العسكرية القشتالية على سلا - قد جهز حملة جديدة لتكون مدداً لجنده في سلا، فلما علم بانسحابهم، أقسم على قتل قائدهم خوان غرسية، فلما علم الأخير بذلك فر في ثلاث سفن الى ميناء الأشبونة[1] وبقي مقيماً بها[2]. وقد بلغ عدد الأسرى من أهل سلا الذين تجمعوا في مدينة إشبيلية مايقرب من ثلاثة آلاف أسير أكثرهم من الأطفال والشيوخ، وقد افتدى أهل مدينة شريش[3]

---

(١) تقع الأشبونة (لشبونة الحالية) على الضفة الشمالية لنهر تاجة TAIO عند مصبه في المحيط الأطلسي. يصفها الإدريسي ": وهي مدينة حسنة ممتدة مع النهر ولها سور وقصبة منيعة".

راجع : الإدريسي، صفة المغرب، ص ١٨٣ - ١٨٦؛ ياقوت، معجم البلدان، جـ٤، ص ٣٥٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص ١٦-١٨.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٥، ص ٤٢٢؛ عنان، عصر الموحدين ص ٥٤٩.

(٣) شريش مدينة في غرب الأندلس، تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة بطليوس، وهي مدينة كبيرة ضخمة الأسواق، وتكثر بها المزارع ويحيط بها اشجار الكروم.

راجع :- الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٠

المقري، نفح الطيب، جـ١، ص ٤٦٧

منهم ثلاثمائة وثمانين شخصاً. وفى منتصف شهر ذى القعدة سنة ٦٥٨هـ (اكتوبر سنة ١٢٦٠م) بعث السلطان يعقوب بن عبدالحق المرينى مبعوثاً إلى الأندلس هو أبو بكر بن يعلى لافتداء أسرى سلا، وقد نجح فى مهمته وتمكن من افتداء الجزء الأكبر وكان من بين من أطلق سراحهم قاضى سلا، وقد بقى لدى القشتاليين عدد آخر من أسرى سلا: "متلوفين لا يعلم لهم خبر ولا وقع لهم على أثر هل كانوا مقتولين أو محمولين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم"(١).

وقد ظلت سلا موضع اهتمام ورعاية سلاطين بنى مرين ففى عام ٦٦٩هـ (١٢٧١م) غادر السلطان يعقوب بن عبد الحق المرينى مدينة مراكش متوجهاً إلى رباط الفتح ومنها إلى مدينة سلا، وهناك أصابه مرض جعله يتخذ اجراءات سريعة لتعيين ولى عهد للدولة، فجمع أشياخ بنى مرين فى مدينة سلا وأخذ عليهم العهد بولاية ولده أبى مالك عبدالواحد(٢)، ولكن لم يقدر للأمير أبى مالك أن يتولى حكم بنى مرين، إذ سبق الأجل إليه، فتوفى فى حياة والده عام ٦٧١هـ (١٢٧٢م بمدينة فاس، وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة، فقرر السلطان يعقوب بن عبدالحق اختيار ابنه الثانى الأمير يوسف ولياً للعهد خلفاً لأخيه، وسار السلطان إلى مدينة سلا، وأخذ بها البيعة بولاية العهد لإبنه يوسف وذلك فى الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام ٦٧١ هـ

---

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، جـ٥، ص ٥٢٢، ٤٢٣؛ وانظر ايضاً عنان، عصر الموحدين، ص ٥٤٩، ٥٥٠.

(٢) ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص ٣٠٨؛ ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص ١٨٣؛ السلاوى، الاستقصا، جـ ٣، ص ٢٩.

(١٢٧٢م)[١].

لم تشر المصادر التاريخية المعاصرة للدولة المرينية بعد ذلك لمدينة سلا فيماعدا إشارة أو لمحة موجزة فى حوادث عام ٧١٣ هـ (١٣١٤م) حيث أشار ابن الخطيب إلى تولية أبى سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر مدينة سلا فى شهر رمضان من نفس العام[٢].

---

(١) ابن أبى زرع، الذخيرة السنية، ص ١٣٥؛ السلاوى، الاستقصا، جـ٣، ص ٢٩، ٣٠. وقد حضر هذا الاحتفال بمدينة سلا الشاعر أبو فارس عبدالعزيز بن عبدالواحد بن محمد الملزوني المعروف بعزوز وكان من مشاهير شعراء بنى مرين فأنشد

لله درك ياسلا من بلدة — من لم يُعاين مثل حسنك ما اشتقا
قد حُزت براً ثم بحراً طامياً — وبذاك زدت ملاحة وتزخرفاً

ابن الخطيب، الإحاطة، جـ٤، ص ٢٣.

(٢) الإحاطة فى أخبار غرناطة، جـ٤، ص ٢٤٣

بعض مظاهر الحضارة بمدينة سلا

أولاً : الحياة الاقتصادية:

(أ) الزراعة

إزدهرت الزراعة ازدهاراً عظيماً فى مدينة سلا طوال مراحل تاريخها نتيجة لوفرة المياه بها من نهرى أم الربيع وأبى الرقراق(١)، كما شهد العصر الموحدى جهوداً كبيرة لتوفير المياه سواء للشرب أو الزراعة، فقد اهتم الخليفة عبدالمؤمن بن على بإدخال الماء إلى سلا عن طريق القنوات المتصلة بإحدى العيون المائية وذلك سنة ٥٤٥ هـ (١١٥٠م) حتى يوفر مياه الشرب للناس ولسقى الارض، إلا أن الإهمال اصاب مشروع المياه وقد ظهر ذلك واضحاً حين زار الخليفة يوسف بن عبدالمؤمن سلا سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠م) إذ رأى الماء فسد جريه، وأسن ماؤه وانتشر فى البطاح ومن هنا أمر بتجديد المشروع وأضاف إليه صهريجاً يتجمع فيه الماء(٢). أما فى عصر بنى مرين فقد اهتم السلطان أبو الحسن المرينى بمشروعات الرى وتوصيلها إلى مستعمليها وقد أنفق أبو الحسن أموالاً طائلة لتوصيل المياه إلى داخل سلا حيث الموضع المعروف باسم برج حمام(٣). وبالإضافة إلى

---

(١) نهرا أم الربيع وأبو رقراق ينبعان من جبال صنهاجه (الأطلس المتوسط) ويصبان فى البحر المتوسط. ويعد نهر أم الربيع من أهم أنهار المغرب الاقصى لوفرة مياهه، وانتظام جريانه. عبدالواحد المراكشى، المعجب، ص ٥١٢.

(٢) البيذق، أخبار المهدى بن تومرت، ص ١١٣؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامه، ص ٤٤٨؛ ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص ١٢٥، ١٢٦؛ السلاوى، الاستقصا، جـ٢، ص ١١٩؛ حسن علي حسن، الحضارة الاسلامية فى المغرب والأندلس، ص ٣٨٧.

(٣) ابن مرزوق، المسند، ص ١٨٩؛ الحريرى، تاريخ المغرب الإسلامى والأندلس فى العصر المرينى، ص ٣٢٨.

توافر مياه الرى امتازت سلا أيضاً بتوافر الأيدى العاملة المهرة فى مجال الزراعة، إذ توارد عليها مهرة المزارعين من أفريقية وأنشأوا بها البساتين وعلموا أهلها فنون الزراعة(١). ومن أشهر محاصيلها الزراعية: قصب السكر(٢)، والقطن والكتان(٣)والكروم(٤).

(ب) الصناعة

ازدهرت الصناعة فى مدينة سلا نتيجة لتوافر المواد الخام اللازمة لقيام الصناعات المختلفة ومنها. الحديد(٥)والأخشاب(٦)، فضلاً عن المواد الخام الزراعية كالقطن والكتان وقصب السكر. ومن أبرز تلك الصناعات، صناعة قصب السكر حيث كان يوجد بسلا الكثير من معاصر السكر(٧)،

---

(١) حركات، المغرب عبر التاريخ، جـ١، ص ٢٥٧.

(٢) المنونى، ورقات عن الحضارة المغربية فى العصر المرينى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٩٧٩، ص١١٢؛ موسى (عز الدين أحمد) النشاط الاقتصادى فى المغرب الإسلامى خلال القرن السادس الهجرى، دار الشروق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣، ص ١٩٥.

(٣) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى المغرب والاندلس، ص ١٠٤؛ المقرى، نفح الطيب، جـ٣، ص ٣٧٦، ٣٧٧؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا، جـ٢، ص ١٢٧، ١٢٨؛ المنونى، ورقات عن الحضارة المغربية، ص ١١١.

(٤) الإدريسى، صفة المغرب، ص ٧٣؛ الحميرى، الروض المعطار، ص ٣١٩.

(٥) يقول المراكشى : وبين سلا ومراكش قريباً من ساحل البحر الاعظم بمقدار يوم أو أكثر قليلاً موضع يدعى ابسنتار فيه معدن حديد كان يقصده من أراد حمل الحديد منه. المعجب، ص ٥٠٩، ٥١٠؛

(٦) الجزنائى (أبو الحسن على)": جنى زهرة الآس فى بناء مدينة فاس" تحقيق عبدالوهاب بن منصور، الرباط، ١٩٦٧م، ص ٢٨.

(٧) القلقشندى، صبح الأعشى فى صناعة الانشا، جـ ٥، ص ١٧٦؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادى في المغرب الإسلامى، ص ٢٤؛ الحريرى، تاريخ المغرب الإسلامى والأندلس، ص ٢٨٥.

والصناعات الخشبية(١)، والصناعات الجلدية(٢)، وصناعة الملابس القطنية والكتانية(٣).

(جـ) التجارة

كان من الطبيعى مع ازدهار الزراعة والصناعة أن تزدهر التجارة فقد كان ميناء سلا من أهم موانىء المغرب الأقصى الواقعة على المحيط الأطلسى وكان يستقبل السفن المختلفة وفى مقدمتها السفن الأندلسية وفى ذلك يقول الإدريسى: "ومراكب أهل اشبيبية وسائر المدن الساحلية من الأندلس يقلعون عنها (أى عن ميناء سلا) ويحطون بها بضروب من البضائع وأهل إشبيلية يقصدونها بالزيت الكثير وهو بضاعتهم ويتجهزون منها بالطعام إلى سائر بلاد الأندلس الساحلية"(٤). ويمضى الإدريسى قائلاً: "والمراكب الواردة عليها لا ترسى منها فى شئ من البحر لأن مرساها مكشوف وإنما ترسى المراكب بها فى الوادى وتجوز المراكب على فمه بدليل لأن فى فم الوادى أحجار وتروش تتكسر عليها المراكب وفيه أعطاف لا يدخلها إلا من يعرفها وهذا الوادى يدخله المد والجزر فى كل يوم مرتين، وإذا كان المد دخلت المراكب به الى داخل الوادى وكذلك تخرج وقت

---

(١) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ٤٤٩؛ عبدالواحد المراكشى، المعجب، ص ٣٥٩؛ الجزنائى، زهرة الآس، ص ٢٨؛ الفاسى، نشأة الدولة المرينية، مجلة البينة، العدد الثامن، السنة الأولى، رجب ١٣٨٢ هـ / ديسمبر ١٩٦٢م ص ٢٦.

(٢) ازدهرت صناعة دبغ الجلود فى سلا فى عصر الموحدين. عز الدين موسى، المرجع السابق، ص ٢٣٠.

(٣) الونشريسى (ابو العابس احمد بن يحيى) : المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، طبعة فاس، ١٢ جزء دون تاريخ، جـ٥، ص ٢٥٨.

(٤) الإدريسى، صفة المغرب، ص ٧٣؛ وانظر ايضاً، الحميرى، الروض المعطار، ص ٣١٩.

خروجها"[1].

كان لسلا علاقات تجارية مع الجنويين، فقد مُنح الجنويون امتيازات تجارية مع بلاد المغرب، يتضح ذلك من اتساع حجم التبادل التجارى مع موانىء المغرب الاقصى ولا سيما مع سلا، حتى قيل إن الجنويين فكروا فى غزو سلا والاستيلاء عليها[2]، كذلك كانت لسلا علاقات مع الممالك المسيحية فى أسبانيا حتى ظن أهل سلا عندما رأوا السفن القشتالية أمام سواحلهم سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠م) أنها جاءت - كعادتها للتجارة[3].

كذلك نشطت التجارة الداخلية البرية حيث كانت سلا ملتقى للطرق السهلية والجبلية في المغرب الأقصى[4].

(د) صيد الأسماك

عرفت سلا - شأنها شأن المدن الساحلية - حرفة صيد الأسماك، وقد أشار الإدريسى إلى كثرة الأسماك فى وادى سلا وكيف أنها لا تباع ولا تشترى لكثرتها بقوله: "وفي هذا الوادى أنواع من السمك وضروب من الحيتان.والحوت بها لايكاد يباع ولا يشترى لكثرته وجودته[5] ومن أشهر

(١) الإدريسى، المصدر السابق، ص ٧٣.

(٢) Byrne (E.H.,) "Commercial contracts of the Genoese in the syrian trade of the Twelfth Century " the quarterly Journal of Economics, 1916-1917, Vol, XXXI, P. 130-133.

(٣) ابن عذارى، البيان المغرب، جـ٥، ص ٤١٨؛ ابن أبى زرع، روض القرطاس ص٣١؛ إالسلاوى الناصرى، الاستقصا، جـ١، ص٢١.

(٤) Célérier, J., "1" Atlas et la Circulation au Maroc, Hespéris, 1927, Tome, VII, P. 445-446.

(٥) الإدريسى، صفة المغرب، ص ٧٣؛ وانظر ايضاً الحميرى، الروض المعطار، ص ٣١٩.

أنواع أسماكها الشابل الذى يصفه ابن الخطيب بقوله : وكفى بالشابل رزقاً طرياً وسمكاً بالتفضيل حّرياً، يبرز عدد قطر الديم ويباع ببخس القيم، ويعمم حتى المجاشر (القرى) النائية والقرى[1].

كما عرفت سلا أيضاً حرفة الرعى ولا سيما رعى الجمال[2] وكان لكل فرقة من الصناع أو التجار رؤساء يختارونهم من بينهم ويسمون بالأمناء، حيث كانت لهم حرية التصرف فى مصالح المهنة التى يترأسونها فقد أسس أمناء التجار وصناع الملابس بمدينة سلا صندوقاً احتياطياً كان دخله من درهم واحد يأخذونه عن كل قطعة من الملابس تباع، وقد خصصوا حصيلة هذا الصندوق لمواجهة مايُفرض عليهم من ضرائب استثنائية أو عادية[3]. كما كانت سلا تمثل إحدى الاقاليم التى كانت تُجبى منها الأموال فى عصرى الموحدين وبنى مرين[4].

---

(١) مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى المغرب والأندلس، ص ١٠٥، ١٠٦؛ وانظر ايضاً، مجهول، الاستبصار، ص ١٤١.

(٢) ابن الخطيب، مشاهدات، ص ٦٠.

(٣) الونشريسى، المعيار، جـ٥، ص ٢٥٨؛ محمد المنونى، ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بنى مرين، ص ١١٠.

(٤) الحكيم (ابو الحسن علي بن يوسف) : الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة، تحقيق د. حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ١١٩، ١٢٠.

ثانياً: المنشآت المعمارية

(١) المنشآت الدينية

(أ) المساجد

يعتبر جامع الشعبة من أقدم مساجد سلا،بناه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وقد جلبت عمده الرخامية الصفراء من مدينة شالة التى كان بها أقدم مسجد بناحية سلا[١]. والمسجد الأعظم، وقد أمر يعقوب المنصور الموحدى ببناء المسجد الأعظم وفى ذلك يقول صاحب الروض المعطار: "كان يعمل فى بنائه ونقل حجارته وترابه سبعمائة أسير من أسارى الفرنج في قيودها"[٢]. كما أشار صاحب الاستبصار إلي قيام العشريون أصحاب سلا ببناء مسجد وأنه لم يبق منه سوى المنار، أما السقف فقد تهدم واحتمى الغرباء فى بنائه سنة ٥٧٤ هـ (١١٧٨م)[٣].

---

(١) حركات، المغرب عبر التاريخ، جـ١، ص ٢٤٣.

(٢) الحميرى، الروض المعطار، ص ١٤٠؛ السلاوى، الاستقصا، جـ٢، ص ١٩٥؛ حركات، المرجع السابق، ص ٣٦٦؛ السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص ٣٨.

(٣) مؤلف مجهول، الاستبصار، ص ١٤٠.

(ب) الأربطة والزوايا

(١) رباط سلا

كانت سلا رباطاً على دولة برغواطة وفى ذلك يقول ابن حوقل ": وبسلا رباط يرابط فيه المسلمون وعليه المدينة الأزلية المعروفة بسلا القديمة وقد خربت، والناس يسكنون ويرابطون رباطات تّحف بها، وربما اجتمع في هذا المكان من المرابطين مائة ألف إنسان، يزيدون فى وقت وينقصون لوقت، ورباطهم على برغواطة من قبائل البربر على البحر المحيط متصلين بهذه الجهة التى شفت عمارة بلد الاسلام إليها يغزون ويسبون"(١).

(٢) رباط الفتح

وهو الرباط الذي نزل فيه الفقية الشهير أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر الانصارى المعروف بابن عاشر والمتوفى بسلا فى شهر رجب سنة ٧٦٥ هـ (١٣٦٣م)(٢).

---

(١) ابن حوقل (ابو القاسم محمد بن على) : صورة الأرض، طبعة بيروت ١٩٦٢م، ص ٨٢؛ حسن احمد محمود: قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٥٧م، ص ١٣٦؛ العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس، ص ٢٩٤.

(٢) ابن القاضى، جذوة الاقتباس، ق١، ص ١٥٣.

(٣) زاوية السلطان أبى الحسن المرينى

شيد السلطان أبو الحسن المرينى داخل سور مدينة سلا زاوية حسنة التخطيط مكتوب على بابها الغربى الكبير العجيب البناء البديع المثال بخط كوفى رائع بعد الافتتاح بالتعوذ والبسلمة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ": أمر بهذا مولانا السلطان الأجل العادل المقدس المجاهد أمير المسلمين ناصر الدين أبو الحسن ابن السلطان الأجل الصالح العادل المجاهد المقدس أمير المسلمين ناصر الدين أبى يوسف يعقوب بن عبدالحق خلد الله ملكهم. وكان الفراغ منه فى آخر ذى الحجة عام تسعة وثلاثين وسبعمائة"(١).

(٤) زاوية النساك

مازالت أطلال زاوية النساك قائمة خارج سور سلا وهى من جملة الزوايا العديدة الجميلة التى بناها السلطان أبو عنان فارس المرينى فى خارج المدن المغربية لتكون بمثابة دور للضيافة ينزل فيها الرحالة والمسافرون على اختلاف طبقاتهم. وزاوية النساك قد تم بناؤها فى السابع والعشرين من شعبان سنة ٧٥٧ هـ (الثانى عشر من اغسطس سنة ١٣٥٦م) وكانت تشتمل على حديقة جميلة وغرف عديدة وقاعة للصلاة وميضأة فى الجهة القبلية منها مزودة بالمياه الجارية من بئر هناك. وكان للزاوية بابان كبيـــران

---

(١) السويسى ، تاريخ رباط الفتح، ص ٧٩، ٨٠.

أحدهما يتجه نحو مدينة سلا والآخر يتجه نحو مدينة شالة - الجبانة الملكية لبنى مرين - وقد تهدمت زاوية النساك عقب حريق شب فيها ولا يُعرف تاريخه بالضبط ومازالت أطلا لها باقية إلى الآن(١).

(٥) زاوية أبى زكرياء الحاحى(٢)

تقع زاوية أبى زكرياء الحاحى غربى المسجد الأعظم بسلا(٣).

(٦) زاوية اليابورى

وتنسب إلى الفقيه أبى عبدالله اليابورى(٤).

(١) ابن الخطيب، نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب، نشر د. احمد مختار العبادى، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ١٧٠، هامش (٢) ص ١٧٠، ١٧١، ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص ١٠٤.

(٢) أبو زكرياء يحيى بن أبى عمرو عبد العزيز بن عبدالله بن يحيى. ظهر فى أواخر القرن السابع الهجرى، وتاريخ وفاته مجهول، وهو مدفون بتينفرا من بلاد حاحه، ويعرف أصحابه بالحاحيين. محمد المنونى، ورقات عن الحضارة المغربية فى عصر بنى مرين ص ٢٣٦-٢٣٧.

(٣) محمد المنونى، المرجع السابق، ص ٢٠٧.

(٤) ابن القاضى، جذوة الاقتباس، ق١، ص ١٥٢.

(٢) المنشآت المدنية

١ - المدارس

اهتم الموحدون ببناء المدارس بمدينة سلا، ولو أنه لم يبق لها أثر، إذ من المحتمل أن المرينيين هدموها وأقاموا مكانها مدارس تحمل اسم ملوكهم وطابعهم الخاص. ومن المدارس التى ذكرها المؤرخون مدرسة المسجد الأعظم بالطالعة، وقد انطمست معالمها بينما ظلت مدرسة المرينيين قائمة، ومدرسة المهدية التى بناها يعقوب المنصور بمدينة سلا(١). كما ابتنى السلطان عليها أبو الحسن المرينى المدرسة العظمى بطالعه سلا قبلى المسجد الأعظم ". بناها على هيئة بديعة وصنعة رفيعة وأودع جوانبها من أنواع النقش وضروب التخريم مايحير البصر ويدهش الفكر". كما أوقف السلطان الكثير من الأوقاف: "رصع أسماءها بالنقش والاصباغ على رخامة عظيمة، ثم نصب الرخامة بالحائط الجوفى منها كل ذلك محافظة على تلك الأوقاف أن تغير(٢). كما ابتنى السلطان أبو عنان فارس المرينى بسلا المدرسة العجيبة بحومة باب حسين، وقد صارت اليوم فندقاً يُعرف بفندق أسكور(٣).

---

(١) ابن أبى زرع، الذخيرة السنية، ص ١٥٧؛ السلاوى، الاستقصا، جـ٢، صث ١٩٨؛ محمد المنونى، ورقات، ص ٢١.

(٢) السلاوى الناصرى، الاستقصا، جـ٣، ص ١٥٧.

(٣) السلاوى الناصرى، الاستقصا، جـ٣، ص ٦-٢.

٢- الفنادق والقيساريات والبيمارستانات

نظراً لأهمية سلا التجارية، فقد انشأت فيها الكثير من الفنادق، وكان يطلق على الفندق اسم السلعة التى تباع فيها، ومن ذلك ماورد فى ترجمة أبى موسى الدكالى أحد مشاهير المتصوفين فى مدينة سلا أنه كان يقيم بفندق الزيت(١). وكذلك المدرسة العجيبة التى انشأها السلطان ابى عنان فارس المرينى والتى تحولت الى فندق عُرف بفندق أسكور(٢). كما كان يوجد بسلا قيسارية، فقد وصف ابن الخطيب قيسارية سلا بقوله": وقيسارية حقيرة(٣). كذلك اشار ابن الخطيب الى وجود بيمارستان فى سلا لعلاج المرضى(٤).

٣- القصور

(أ) قصر بنو عشرة

بنو عشرة أسرة أندلسية من مدينة قرطبة. وأول من وفد منهم إلى بلاد المغرب واستقر بسلا أبو العباس أحمد بن القاسم الذى تولى قضاء سلا في عصر المرابطين، وقد شيد أبو العباس قصراً بسلا لإقامته وأتقنه، ولما فرغ من بنائه وصفته الشعراء وهنأته ودعت له وكان بسلا يومئذ الشاعر

---

(١) التادلى (أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبدالرحمن) : التشوف إلى رجال التصوف؛ نشره وصححه أدولف فور، طبعة الرباط، ١٩٥٨م ص ١٨٦، ١٨٧.

(٢) السلاوى الناصرى، الاستقصا، جـ٣، ص ٢٠٦.

(٣) مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص ٦٢

(٤) ابن الخطيب، مشاهدات، ص ١٠٤

أبو الحسين علي بن الحمارة، وكان ممن برع فى الألحان وعلمها، وهو من أهل غرناطة، واشتهر عنه نظم الشعر وتلحينه والغناء به، ولم يكن ابن الحمارة قد أعد شيئاً، ففكر قليلاً ثم ارتجل قائلاً:

يا أوحد الناس قد شيدت واحدة   فحل فيها حلول الشمس فى الحمل
فما كدارك فى الدنيا لذى أمل   ولا كدارك فى الآخرة لذى عمل(١)

---

(١) المقرى نفح الطيب، جـ ٥، ص ٢٧٦، السلاوى الناصرى، الاستقصا، جـ٢، ص ١٠٨:
وكانت لأسرة بنو عشرة الكثير من الايادى البيضاء، فهذا هو الشاعر محمد بن سوار الاشبونى، وكان قد وقع اسيراً، ففداه ابو العباس احمد بن القاسم بن عشرة فمدحه :

أحب سلا من أجل كونك من سلا
فكل سلاوى إلىّ حبيب
لصيرتها مصراً ونيلك نيلها
وكفك بطحاها وأنت خصيب

وقوله ايضاً

رايتك أندى الناس كفاً وكلّ ما
تجود به فالله ينميه للأخرى
ولولاك مافّك السلاسيل ضاغط
وما فارقت عيناى سلسلة الاسرى
وخيرت عيشى فى جنابك بالذى
مننت بهُ حلواً وكم ذقته مُراً
على ذاك لا انفك أخلص داعياً
إلى الله أن ينمى لك الجاه والعمرا.

راجع : ابن سعيد (ابو الحسن على بن موسى بن محمد) المغرب فى حلى المغرب، تحقيق د. شوقى ضيف فى جزئين، القاهرة ١٩٥٣-١٩٥٥م، جـ١، ص ٤١٢.
كذلك مدح الشاعر عيسى بن الوكيل أبى الحسن علي بن القاسم بن محمد بن عشرة بقصيدة مشهورة جاء فيها.

وعندما وصل المهدى بن تومرت إلى سلا نزل بقصر بنو عشرة حيث كان يأتيه تلاميذه فيأخذون عنه العلم(١)، وعندما فتح عبد المؤمن بن على سلا نزل بقصر ابن عشرة(٢)، كما نزل فيه يحيى بن العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس وفى ذلك يقول ابن الخطيب ": ولما اضطربت حاله (أى يحيى) بظهور دولة لمتونة، لحق بقسنطينة، ثم نزل عنها للموحدين مستأمناً لنفسه، وسكن بقصر ابن عشرة من سلا، وكانت وفاته به"(٣).

= سل البرق إذ يلتاح من جانب البرقا
أقرطى سليمى أم فؤادى حكى خفقاً
ولم أسبلت تلك الغمامة دمعها
أريعت لوشك البين أم ذاقت العشقا
ومنها غريب بأرض الغرب فرق قلبه
فأوت سلا فرقاً ويابره فرقاً
إذا ما بكى أو ناح لم يلف مسعداً
على شجوة إلا الغمائم والورقا

وكان السبب وراء مدحه بهذه القصيدة أن عيسى بن الوكيل كان يعمل فى جباية الضرائب على مدينة غرناطة على أيام المرابطين، فحدث لديه عجز قدرة عشرة الآف دينار، فقبض عليه وكبل وأرسل إلى مراكش فلما مر بسلا وبها يومئذ بنو عشرة، قال هذه القصيدة يمد. القاضى أبا الحسن بن عشرة ويستجير به، وسأل ايصالها إليه، فلما اطلع عليها، أمر باطلاق سراحه ودفع ماعليه من دَين وطلب اعادته الي عمله، فوافق أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين واعاده إلى عمله فى غرناطة.

راجع. الحميرى، الروض المعطار، ص ٦١٥.

(١) البيذق، اخبار المهدى بن تومرت، ص ٥٥.

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، هـ٥، ص ٢٥؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص ١٣٦؛ ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ٢٣٢

(٣) أعمال الأعلام، القسم الثالث، ص ١٠٠

٤- القناطر

أ - قنطرة سلا

شيد الخليفة عبدالمؤمن بن على قنطرة بين مدينتى سلا والمهدية، إلا أنها تصدعت بتأثير قوة التيار، لذلك حين زار الخليفة يوسف بن عبدالمؤمن سلا سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠م) أمر بإقامة قنطرة جديدة إلى جانب القنطرة القديمة التى شيدها عبدالمؤمن وقد وصفها صاحب الاستبصار بأنها مركبة على ثلاثة وعشرين معدية مدت عليها أوصال الخشب وصلبت عليها الألواح والفرش الوثيق الذى لا يؤثر فيه الحافر، تجوز عليها العساكر والمسافرون، ويمد البحر فترتفع القنطرة ويتغطى الجسر، فتعوم عليه المراكب وترسو دونه السفن الكبيرة[١].

٥- سور الأقواس

شيد السلطان أبو الحسن المرينى السور المحمول عليه الماء الداخل إلى سلا المعروف بسور الأقواس وهو " من المبانى العادية والهياكل العظيمة التي تدل على فخامة الدولة وكمال قوتها مثل ما يقال عن حنايا قرطبة ونحوها"[٢]. وهذا السور: "مسوق من عيون البركة خارج مدينة سلا على أميال كثيرة ممتداً من القبلة إلى الجوف على أضخم بناء وأحكمه، موزون

---

(١) مؤلف مجهول، الاستبصار، ص ١٤١؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص ٤٤٩؛ المراكشى، المعجب، ص ٥٠٧؛ الحميرى، الروض المعطار، صفض ٣١٩؛ العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٤١؛ عنان، عصر الموحدين، ص ٦٦؛ حركات، المغرب عبر التاريخ، ص ٣٧٠

(٢) السلاوى الناصرى، الاستقصا، جـ٢، ص ١٥٧، ١٧٦.

سطحه بالميزان الهندسي ليتأتى جريان الماء فوقه على استواء، ولذلك ينخفض إلى الأرض متى ارتفعت ويعلو عنها إذا انخفضت ويجرى على متنة من الماء مقدار النهر الصغير فى ساقيه قد اتخذت له، ولما شارف البلد عظم ارتفاعه جداً لأجل انخفاض الارض عنه كلما مر فى سيره بطريق مسلوك فتحت له فيه أقواس فسمى لذلك سور الأقواس، فهو شاهد لبانيه بضخامة الدولة وعظم الهمة"(١).

(٣) المنشآت العسكرية

(أ) بناء سور سلا

كانت مدينة سلا مسورة من جهاتها الأربع إلا أن الخليفة عبدالمؤمن بن على هدم أسوارها سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧م)(٢)، ثم أعاد حفيده يعقوب المنصور بناء أسوارها ماعدا الجهة الغربية التى بقيت دون سور الى ان هاجمها النصارى القشتاليون سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠م)، فبعد انسحابهم منها رأى السلطان يعقوب بن عبدالحق المرينى ضرورة تأمين هذا الثغر المهم حتى لا يقتحمها أحد من ناحية البحر، لذلك شرع فى بناء السور الغربى لمدينة سلا، فبناه من أول دار الصناعة وامتد إلى البحر، وكان السلطان يقف على بنائه بنفسه، ويرفع الحجر بيديه ابتغاء لثواب الله تعالى

---

(١) السلاوى، نفسه، ص ١٧٦.

(٢) السلاوى، الناصرى، الاستقصا، جـ٢، ص ٢٢.

وتواضعا[١] واستكمالاً لتحصين سلا أقام السلطان يعقوب بن عبدالحق فى هذا السور برجاً حربياً عالياً يعد من أعظم ابراج المدينة وأحسنها وأكبرها اتساعاً وارتفاعاً وقد عُرف باسم برج الدموع[٢]. ولما صارت سلا مدفناً لسلاطين بنى مرين اهتم بها السلطان ابو الحسن المرينى وأدار عليها السور المربع " السامى الارتفاع تتخلل مسافاته أبراج مربعة على هيئة أسوار المدن الكبرى"[٣].

(أ) دار الصناعة بسلا

اهتم الموحدون اهتماماً كبيراً بانشاء دور الصناعة على طول السواحل المغربية والأندلسية بهدف إنشاء بحرية إسلامية قوية تستطيع حماية سواحل عدوتى المغرب والأندلس من الأخطار الخارجية. وقد أشار ابن أبى زرع إلى أنه فى سنة ٥٥٧ هـ (١١٦٢م) أنتجت دور الصناعه فى العدوتين أسطولا من أربعمائة قطعة منها فى سلا والمعمورة مائة وعشرون قطعة[٤]. أما أول من اهتم من المرينيين بالاسطول فهو السلطان يعقوب بن

---

(١) ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص ٣٠١، الذخيرة السنية، ص ٩٤؛ ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص ٥٨؛ ابن القاضى، جذوه الاقتباس، ق٢، ص ٥٥٨؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا، جـ٢، ص ٩٤؛ جـ٣، ص ٢٢؛ السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص ٧٩؛ الحريرى، تاريخ المغرب الإسلامى والأندلس في العصر المرينى، ص ٣٢٩.

(٢) سمى بهذا الاسم لأن السلطان يعقوب بن عبدالحق المرينى حين شارك فى بناء هذا السور، كان يبكي متأثراً مما حل بالمدينة وأهلها على أيدى النصارى. السلاوى الناصرى، جـ٣، ص ٢٢.

(٣) السويسى، تاريخ رباط الفتح،، ص ٧٩.

(٤) ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص ٢٠٠، ٢٠١؛ وانظر ايضاً ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص ٢١٣، ٢١٤؛ العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، ص ٣٣٦، ٣٣٧؛ عز الدين موسى، النشاط الإقتصادى فى المغرب الإسلامى، ص ٢٢٣.

عبدالحق الذى يرجع إليه الفضل فى بناء دار الصناعة بسلا على يد المهندس الأندلسى محمد بن علي بن عبدالله بن محمد بن الحاج الإشبيلى(١). وقد بنيت قبلى مدينة سلا من جهة وادى أبى الرقراق وجعل لها بابان(٢) كان الوادى يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر بصناعة هندسية، حيث جلب الماء من الوادى إلى الباب المسامت لجامع حسان فى ترعة عميقة، فاذا صنعت سفينة جديدة بهذه الدار وأريد ارسالها فى الوادى، فتحت الترعة فيدخل الماء وتعوم فيه السفينة، فتخرج من الباب القبلى سابحة على وجه الماء الى أن تقع فى الوادى، ولذلك ارتفع قوس الباب القبلى جداً ليخرج المركب منشور القلاع (٣). ثم اهتم سلاطين بنى مرين بدار صناعة سلا، فقد أنشأ السلطان أبو سعيد عثمان الثانى (٧١٠/ ٧٣٢ هـ - ١٣١٠ - ١٣٣١م) بسلا الأجفان الغزوية، ففى شهر ذى القعدة سنة ٧١٠ هـ (١٣١١م) خرج السلطان أبو سعيد عثمان من مدينة فاس إلى رباط الفتح لدراسة أحوال

---

(١) كان من مدجنى مدينة إشبيلية: "من العارفين بالحيل الهندسية بصيراً باتخاذ الآلات الحربية الجافية والعمل بها وانتقل الى فاس على عهد ابى يوسف يعقوب المنصور بن عبدالحق واتخذ له دولاب وبنا دار الصناعة بسلاً.
- ابن الخطيب، الاحاطة، جـ٢، ص ١٤٠؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا، جـ٣، ص ٢٢؛ ابن القاضى، جذوة الاقتباس، ق١، ص ٢٨٨.

(٢) الباب الأول وكان يسمى باب المرسى وهو عبارة عن قوس على شكل حدوة الفرس يحيط به شريط زخرفى ونقش طويل بالخط الكوفى. وتغطى أركان الباب زخارف نباتية كثيفة، ويحيط به برجان بارزان بروزاً خفيفاً تتوجهما زخارف نباتية، وهذا الباب يؤدى الآن إلى حى اليهود فى سلا ويعرف بباب الملاح. أما الباب الثانى، فقد تهدم ولم يبق منه إلا حائط الواجهة التى كانت تتوسط البرجين اللذين لم يبق منهما إلا بروزهما.
Terrasse: les Portes de l'arsenal de Salé, Hespéris, Tome II, année, 1922, P. 357-371.

(٣) ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص ٢٩٢؛ العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب و الأندلس، ص ٣٨٠، ٣٨١؛ حركات، المغرب عبر التاريخ، ص ٣٧٠.
Terrasse : les Portes de L'arsenal de Salé-P. 369-370.

أهلها والنظر فى أمور بلاد الأندلس عن كثب، واتخذ بعد ذلك عدة قرارات من بينها إنشاء الاساطيل بدار صناعة السفن بمدينة سلا لحماية سواحل الدولة ومدافعه الغزاة عنها(١).

(ثالثا) الاحتفالات والمناسبات العامة

(١) الاحتفال بالمولد النبوى الشريف

يعتبر الاحتفال بالمولد النبوى الشريف من الاحتفالات التى اختصت بها مدينة سلا وفى ذلك يقول ابن الخطيب: "اختصت مدينة سلا بالأعياد والاحتفالات الخاصة بأعياد ميلاد الرسول(٢). والفضل يعود إلى الفقيه أبى القاسم العزفى أنه أول من احتفل بالمولد النبوى الشريف وذلك سنة ٦٤٧ هـ (١٢٤٩م) ويصور ابن عذارى ما كان يقوم به هذا الفقيه من مظاهر الاحتفال بقوله: "فيطعم منه أهل بلده ألوان الطعام ويؤثر على اولادهم ليلة يوم المولد السعيد بالصرف الجديد من جملة الإحسان عليهم والإنعام لأجل مايطلقون المحاضر والصنائع والحوانيت يمشون فى الأزقة يصلون علـــي النبى صلى الله عليه وسلم وفى طول اليوم المذكور يسمع المسمعون لجميع

(١) ابن الخطيب، الاحاطة، جـ٣، ص ١٤١.

(٢) نفاضة الجراب، ص ٢٣. ومن المعروف الى وقتنا هذا ان مدينة سلا تعتبر من المدن المغربية القليلة التى تحتفل بمولد الرسول احتفالاً خاصاً تخرج فيه مواكب الشموع وطوائف الناس على اختلاف طبقاتهم فى عرض حافل بديع وذلك فى الثانى عشر من ربيع الأول من كل عام. ابن الخطيب، نفاضة الجراب، هامش (٤) ص ١٢٢.

أهل البلد مدح النبى عليه السلام، بالفرح والسرور والإطعام للخاص والعام، جار ذلك علي الدوام فى كل عام من الأعوام"[1].

(ب) الإحتفال بليلة السابع والعشرين من رمضان

كان أهل سلا يحتفلون بليلة السابع والعشرين من رمضان فى كل عام، حيث كانت تأتيها الوفود من جميع أنحاء بلاد المغرب لتشاركها هذا الاحتفال. فكانت الخيام تنتشر حول المساجد وتزدان الأسواق والمتاجر، وترفع المغارم، ويقوم أهل الخير بإقامة الولائم الكبيرة حيث كانت توزع اللحوم والسمن والحلوى، كما كان يحضرها المغنون والمنشدون ويشهدها الجميع : " كالقاضى والشهود العدول والخواص والأعيان والأمناء[2]".

(رابعاً) الحياة الفكرية

الفقهاء والقضاه والمحدثين

ظهر فى سلا الكثير من الفقهاء والقضاه والمحدثين والزهاد وفى هذا يقول ابن الخطيب: "وإن كان بها أهل عبادة وسالكو سبيل وزهادة"[3]. منهم. أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم بن أحمد الكتامى ويعرف بابن العجوز وقد تولى قضاء سلا على أيام المرابطين وتوفى سنة ٥١٠هـ (١١١٦م)[4]، وأبو العباس أحمد بن عشرة وقد تولـــى

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، جـ٣ ، ص ٣٩٨؛ وانظر ايضاً العبادى، دراسات، هامش (٢) ص ٣٧٩.

(٢) ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ص ١٢٢.

(٣) مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص ٦٥.

(٤) ابن سعيد المغربى، المغرب فى حلى المغرب، جـ٢، ص ٢٩٧.

قضاء سلا على أيام المرابطين(1)، وأبو محمد عبدالحليم بن عبدالله المراسى المعروف بالغماد، وهو من زهاد سلا، وتوفى بها وقبره لصق المسجد الأعظم علي مقربة من باب الكبير من جهة القبلة، وقد توفى سنة ٥٩٠هـ (١١٩٤م)(2)، وأحمد بن محمد بن احمد بن خلف بن سليمان بن خالد بن بهلول بن عبدالرؤف بن مخارق بن أحمد العبدرى، وقد روى بالأندلس عن بعض شيوخها، ثم رحل إلى المشرق وأدّى فريضة الحج، ثم عاد إلى المغرب واستوطن سلا، وحدث بها وكان محدثاً عدلاً ديناً. فاضلاً كريم الاخلاق، توفى بسلا فى شهر شعبان ٦١٠ هـ (ديسمبر ١٢١٣م)(3)، وأبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد البكرى وهو من أهل شريش، وقد استوطن سلا وتولى القضاء بها، وقد توفى فى أوائل عام ٦١١ هـ (١٢١٤م)(4)، والأخوان عبدالله وداود ابناحوط الله الانصارى الحارثى، واكبرهما عبدالله، وهو عبدالله بن سليمان بن داود بن عبدالرحمن بن سليمان بن عمرو بن خلف بن حوط الله الانصارى الحارثى، ولد بأنده نمن أعمال بلنسية فى سنة ٥٤٩هـ (١١٥٤م) وهى موطنهم ودرس ببلنسية ومرسية وقرطبة، وبرز فى الحديث والقراءات، وكان إماماً فى صناعة الحديث ولم يكن فى وقته أبعد صيتاً منه ومن أخيه ابى سليمان فى هذا الميدان، استدعاه الخليفة يعقوب المنصور لتأديب بنيه، فحظى لديه ونال جاهاً ودنيا عريضة، وقد تولى القضاء

(١) ابن القاضى، جذوة الاقتباس، ق٢، ص ٤٠٨.

(٢) السلاوى الناصرى، الاستقصا، جـ٢، ص ٢١١.

(٣) ابن عبدالملك، الذيل والتكملة، السفر الاول، القسم الاول، ص ٣٧٦.

(٤) ابن عبدالملك، المصدر السابق، السفر الاول، القسم الاول، ص ٣٨٧.

فـــى سلا وتوفى سنة ٦١٢ هـ (١٢١٥م)[1]. والشاعر المؤرخ أبو عبدالله محمد بن على بن حماد بن عيسى بن ابى بكر الصنهاجي، وأصله من قلعة بنى حماد، إذ ولد فى قرية بوحمزة من أحواز قلعة بنى حماد سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣م) وقرأ ببلده القلعة وكانت حاضرة علم، ثم قرأ ببجاية، ولقى بها جلة من العلماء، ثم تولى قضاء الجزيرة الخضراء ثم ولى قضاء سلا سنة ٦١٣ هـ (١٢١٥م) وقد توفى سنة ٦٢٨هـ (١٢٣٠م) ومن مؤلفاته كتاب ذكر فيه شيوخه وقد أشار فيه إلى أنه لخص تاريخ الطبرى وكل ماروى عنه، وكتاب فى التاريخ سماه " النبذ المحتاجة فى أخبار صنهاجة بإفريقية وبجاية"[2]. وأحمد بن ابراهيم بن خلف بن محمد بن الحبيب بن عبدالله بن عمرو بن فرقد القرشى العامرى، تولى قضاء سلا، وتوفى بها سنة ٦٢٤ هـ (١٢٢٦م)[3] وابو المطرف أحمد بن عبدالله بن محمد بن الحسين بن احمد بن عميرة المخزومى، تولى الكتابة للخليفة الرشيد الموحدى، ثم نقله الى قضاء رباط الفتح وسلا، وظل يتولاها إلى أن توفى الرشيد وتولى الخلافة الخليفة المعتضد بالله الموحدى، فأقره على قضاء رباط الفتح وسلا[4]. وابو العباس أحمد بن محمد بن عمر الانصارى المعروف بابن عاشر، أصله من بلدة شمينة فى الأندلس، وقد اتجه إلى المشرق لأداء فريضة الحج ثـم عـاد

---

(١) ابن الخطيب، الاحاطة، جـ٣، ص ٤١٦؛ المقرى، نفح الطيب، جـ٦، ص ٦٦، ٦٧؛ عنان، عصر الموحدين، ص ٦٥٦، ٦٥٧.

(٢) الغبر ينى (ابو العباس احمد) : عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية، نشر محمد بن شنب، الجزائر، ١٣٢٨ هـ، ص ١٢٨-١٣٠.

(٣) ابن عبدالملك، التكملة، السفر الاول، القسم الاول، ص ٣٨.

(٤) ابن عبدالملك، المصدر السابق، السفر الاول، القسم الاول، ص ١٧٧؛ المقرى، نفح الطيب، جـ١، ص ٢٩٧، ٢٩٨؛ عنان، عصر الموحدين، ص ٧٠٠-٧٠١

إلى المغرب، فأقام بفاس مدة، ثم رحل الى مكناسة ثم أخيراً استوطن سلا، وكان من العلماء الجامعين بين العلم والعمل والمتمسكين بالكتاب والسنة، زاهداً ورعاً، وذاع صيته بحيث ارتحل إليه السلطان أبو عنان فارس المرينى لزيارته فى سلا والاستفادة من علمه سنة ٧٥٧ هـ (١٣٥٦م) ووقف بابه مراراً فلم يأذن له، وترصده يوم الجمعة وتبعه على قدميه بعد الصلاة ولكنه عجز عن لقائه، فارسل السلطان إليه ولده راغباً ومستعطفاً، فأجابه بالرفض، غير أنه كتب إليه كتاباً وعظه فيه، فسُرّ السلطان بذلك الكتاب، وقد توفى ابن عاشر فى شهر رجب سنة ٧٦٥هـ (١٣٦٣م) ودفن على مقربة من برج الدموع جنوبى سلا[١]. وأحمد بن القاسم بن عبدالرحمن الجذامى، ويعرف بالقباب قال عنه ابن الخطيب: " تعرفت به فى مدينة سلا وأعجبنى سمته، حضرت مجلسه فى الحديث والفقه وأصول الدين[٢]. ومنهم القاضى أبو عثمان سعيد بن محمد العقبانى، ولى قضاء سلا وتوفى سنة ٨١١هـ (١٤٠٨م)[٣].

---

(١) ابن القاضى، جذوة الاقتباس، ق١، ص ١٥٣؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا، جـ٢، ص ٢٠٠، ٢٠١.

(٢) ابن القاضى، المصدر السابق، ص ١٢٣.

(٣) ابن خلدون، بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبدالواد، ص ١٢٣.

مصادر ومراجع البحث

أولا : المصادر العربية

ثانيا : المراجع العربية الحديثة والأوربية المعربة

ثالثاً : المراجع الأوربية

اولاً : المصادر العربية

ابن الآبار (أبو عبدالله محمد بن عبدالله القضاعى) ت ٦٥٨ هـ /١٢٦٠م.

: التكملة لكتاب الصلة، جزءان، نشر وتصحيح وطبع السيد عزت العطار الحسينى، القاهرة، ١٩٥٦م.

: الحلة السيراء، نشر وتحقيق د. حسين مؤنس، فى جزئين، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦٣م.

ابن الأثير : (أبو الحسن على بن أحمد بن محمد الجزرى) ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣ هـ.

: الكامل فى التاريخ، طبعة بيروت، دار الكتاب العربى، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠م.

الإدريسى (أبو عبد الله محمد بن عبدالعزيز الشريف السبتى) ت حوالى ٥٤٨ هـ (١١٥٤م).

: صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، نشره وترجمة إلى الفرنسية دوزى ودى غوية (ليدن ١٨٦٦م).

ابن الأحمر (أبو الوليد إسماعيل بن يوسف) ت ٨١٠ هـ (١٤٠٧م)

: روضة النسرين فى دولة بنى مرين. طبعة القصر الملكى المغربى، الرباط، ١٩٦٢م.

ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبدالملك) ت ٥٧٨ هـ (١١٨٣م)

: الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس طبعة القاهرة فى جزئين ١٩٦٦م.

البكرى (أبو عبيد الله عبدالله بن عبدالعزيز المرسى) ت ٤٨٧ هـ (١٠٩٤م).
: المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك نشره دى سلان De Slane طبعة الجزائر، ١٩١١م.
البيذق (أبو بكر بن على الصنهاجى) : ت القرن ٦ هـ (١٢م)
: أخبار المهدى بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، تقديم وتحقيق عبدالحميد حاجيات، الجزائر ١٩٧٤م.
التادلى (ابو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن)
: التشوف إلى رجال التصوف نشره وصححه أدولف فور، الرباط، ١٩٥٨.
الجزنائى (أبو الحسن على) ت القرن ٨ هـ (١٤م).
: جنى زهرة الآس فى بناء مدينة فاس، تحقيق عبدالوهاب منصور، الرباط، المطبعة الملكية، ١٩٦٧م.
الحكيم (أبو الحسن على بن يوسف) ت القرن ٨ هـ (١٤م)
: الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة تحقيق د. حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٨٦م.
الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم السبتى) ت ٨٦٦ هـ (١٤٦١م).
: صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.

ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن على البغدادى النصيبى)
ت ٣٨٠ هـ (٩٩٠م)
: صورة الأرض. طبعة بيروت، ١٩٦٢م.
ابن خاقان (أبو نصر الفتح بن محمد القيسى الإشبيلى)
ت ٥٣٥ هـ (١١٣٤م)
: قلائد العقيان فى محاسن الأعيان.
القاهرة، ١٢٨٣ هـ.
ابن الخطيب (أبو عبدالله لسان الدين بن محمد بن عبدالله)
ت ٧٧٦ هـ (١٣٧٤م).
: اعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، القسم الخاص بتاريخ أسبانيا، نشره ليفى بروفنسال باسم تاريخ أسبانيا الاسلامية، الرباط، ١٩٣٤م.
: إعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، القسم الخاص بتاريخ المغرب وصقلية، نشره د. أحمد مختار العبادى والأستاذ محمد ابراهيم الكتانى، الدار البيضاء، ١٩٦٤م.
: نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب
نشر د. احمد مختار العبادى، القاهرة، ١٩٦٧م.
: الإحاطة فى أخبار غرناطة.
نشر الأستاذ محمد عبدالله عنان، أربعة اجزاء ١٩٧٣-١٩٧٧م.

مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى المغرب والأندلس.
تحقيق د. أحمد مختار العبادى، الإسكندرية، ١٩٨٣م.
ابن خلدون (أبو زيد عبدالرحمن بن محمد) ت ٨٠٨ هـ (١٤٠٥م)
: العبرو ديوان المبتدأ و الخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر. بيروت، ١٩٨١م.
ابن خلدون (أبو زكرياء يحيى بن محمد) ت ٧٨٠ هـ (١٣٧٨ هـ)
: بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبدالواد، الجزء الأول، تحقيق عبدالحميد حاجيات، طبعة الجزائر ١٩٨٠م.
ابن خلكان (ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد)ت٦٨١ هـ/ ١٢٨٢م.
: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.
تحقيق إحسان عباس، بيروت، بدون تاريخ.
ابن أبى دينار (أبو عبدالله محمد بن القاسم القيروانى) ت ١١١٠هـ
: المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس.
تحقيق محمد شمام، تونس، ١٩٦٧م.
ابن أبى زرع (أبو الحسن علي بن عبدالله الفاسى) ت ٧٢٦ هـ/١٣٢٥م.
: الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس.
طبعة الرباط، ١٩٧٣ م.
: الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية.

طبعة الرباط، ١٩٧٢م.
الزركشى (ابو عبدالله محمد بن ابراهيم اللؤلؤى) ت ٩ هـ (١٥م)
: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية
طبعة تونس، ١٩٦٦م.
ابن سعيد المغربى (أبو الحسن على بن موسى بن محمد)
ت ٦٨٥ هـ (١٢٨٦م)
: المغرب فى حلى المغرب.
تحقيق د. شوقى ضيف فى جزئين، القاهرة ، ١٩٥٣–١٩٥٥م.
السلاوى (أبو العباس أحمد بن خلدون الناصرى) ت ١٣١٥ هـ/١٨٩٧م.
– الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى.
طبعة الدار البيضاء ، ١٩٥٤م.
ابن صاحب الصلاة (عبدالملك) كان حياً سنة ٥٩٤ هـ (١١٩٨م)
: المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين.
السفر الثانى، تحقيق عبدالهادى التازى، بيروت. ١٩٦٤م.
ابن عبدالملك (محمد بن محمد بن سعيد المراكشى) ت ٧٠٣ هـ/١٣٠٣م.
: الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة.
: ثلاثة أسفار، السفر الأول تحقيق محمد بن شريفة، السفران الرابع والخامس، تحقيق إحسان عباس بيروت، ١٩٦٤ – ١٩٦٥م، السفر الأول بدون تاريخ.

ابن عذارى المراكشى (ابو العباس احمد بن محمد) كان حياً سنة ٧١٢ هـ (١٣١٢م)

: البيان المغرب فى أخبار الاندلس والمغرب خمسة أجزاء، الأجزاء الثلاثة الأولى تحقيق كولان وليفى بروفنسال، طبعة بيروت بدون تاريخ، الجزء الرابع خاص بتاريخ المرابطين، نشر احسان عباس، بيروت، ١٩٦٧م، الجزء الخامس خاص بتاريخ الموحدين وبداية عهد بنى مرين، نشر محمد ابراهيم الكتانى ومحمد بن تاويت، الدار البيضاء، ١٩٨٥م.

الغبرينى (أبو العباس أحمد) ت ٧١٤ هـ (١٣١٥م).

: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية.
الجزائر، ١٣٢٨ هـ.

ابن القاضى (أحمد بن محمد بن أبى العافية المكناسى) ت ١٢٠٥ هـ (١٦١٦م).

: جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس.
طبعة الرباط ، ١٩٧٤م.

ابن القطان (أبو الحسن على بن محمد الكتامى) ت ٦٢٨ هـ (١٢٣١م)

: نظم الجمان فى أخبار الزمان.
نشر د. محمود على مكى، الرباط، ١٩٦٤م.

القلقشندى (أبو العباس أحمد بن محمد) ت ٨٢١ هـ (١٤١٨م)

: صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء. ١٤ جزء. القاهرة، ١٣٣٨ م.

ابن الكردبوس (أبو مروان عبدالملك التوزرى)

: تاريخ الأندلس، وهو قطعة من كتاب الاكتفاء فى أخبار الخلفاء، تحقيق د. أحمد مختار العبادى، مدريد، ١٩٧١م.

المراكشى (عبدالواحد بن على) ت ٦٦٩ هـ (١٢٧٠م)

: المعجب فى تلخيص أخبار المغرب.

نشر سعيد العريان ومحمد العربى العلمى القاهرة، ١٩٤٩م.

ابن مرزوق (ابو عبدالله محمد بن احمد العجيسى التلمسلنى) ت ٧٨١ هـ

: المسند الصحيح الحسن فى مآثر ومحاسن مولانا ابى الحسن".

تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، ١٩٨١م.

المقرى (ابو العباس شهاب الدين احمد بن محمد التلمسانى)

ت ١٠٤١ هـ (١٦٣١ م)

: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس بيروت، ١٩٦٨م.

مؤلف مجهول

: كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار لكاتب مراكشى من القرن السادس الهجرى، نشر وتحقيق د. سعد

زغلول عبدالحميد، الإسكندرية، ١٩٥٨م.
مؤلف مجهول.
: الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية تحقيق سهيل زكار وعبدالقادر زمامة، الدار البيضاء، ١٩٧٩م.
مؤلف مجهول
: نبذ تاريخية فى اخبار البربر فى القرون الوسطى منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر نشره ليفى بروفنسال، الرباط، ١٩٣٤م.
النويرى (أحمد بن عبدالوهاب بن محمد بن عبدالدايم البكرى التميمى القرشى) ت ٧٣٢ هـ (١٣٣١م)
نهاية الأرب فى فنون الأدب
الجزء الثانى والعشرين، نشر جاسبار راميرو، غرناطة، ١٩١٦-١٩١٧م.
الوزان (الحسن بن محمد الفاسى المعروف بليون الإفريقى) ت ٩٥٦ هـ
: وصف إفريقية، الجزء الأول، ترجمة محمد حجى ومحمد الأخضر، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٣م.
ياقوت (شهاب الدين أبى عبدالله الحموى) ت ٦٢٦ هـ (١٢٢٩م)
: معجم البلدان فى معرفة المدن والقرى والخراب والعمار والسهل والوعر فى كل مكان.
ثمانية أجزاء، القاهرة، ١٨٦٦ - ١٨٦٧م.

ثانياً: المراجع العربية والأوروبية المعربة:

ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ، الجزء الأول، الدار البيضاء، ١٩٦٥.

.... : الجيش المغربى فى عهد بنى مرين، مجلة كلية الآداب، الرباط العدد الثامن، ١٩٨٢.

-أحمد مختار العبادى (دكتور): دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، ط١،الاسكندرية،١٩٦٨م

.... : فى تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية ١٩٧٤م

-حسن احمد محمود (دكتور) : قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب فى العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٥٧م.

-حسن على حسن (دكتور) : الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس فى عصر المرابطين والموحدين، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٠.

-سعد زغلول عبد الحميد (دكتور) :تاريخ المغرب العربى، جزءان، الإسكندرية، ١٩٧٩م.

-السيد عبد العزيز سالم (دكتور): المغرب الكبير (العصر الإسلامى) الإسكندرية،١٩٦٦م.

-عبد الله السويسى : تاريخ رباط الفتح، الرباط، ١٩٧٩.

-عز الدين احمد موسى (دكتور): النشاط الاقتصادى فى المغرب

الاسلامى خلال ق٦هـ، ط١، دار الشروق- بيروت، ١٩٨٣

-ليڤى بروفنسال : نخب تاريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى، باريس، ١٩٢٣.

محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس، ط٤، القاهرة، ١٩٦٩م.

محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين الموحدين فى المغرب والأندلس، القاهرة ١٩٦٤م

محمد عيسى الحريرى : تاريخ المغرب الإسلامى والأندلس فى العصر المرينى، الكويت، ١٩٨٥.

-محمد الفاسى : نشأة الدولة المرينية، مجلة البينة، السنة الأولى، العدد الثامن، رجب ١٣٨٢هـ/ ديسمبر١٩٦٢.

-محمد المنونى : ورقات عن الحضارة المغربية فى العصر المرينى، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، ١٩٧٩م.

-يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس فى عصر المرابطين والموحدين، ترجمة الأستاذ محمد عبد الله عنان، القاهرة ١٩٥٨.

ثالثاً: المراجع الأوروبية:

-A. Ballesteros Beretta ; La Toma de Salé en Tiempos de Alfonso/ x El sabio, Al - Andalus, 1943.

-Alfred Bel ; Les Banou Ghanaya, Paris, 1903

Byrn (E.H.) ; Commercial Contrcts of the Genoese/ in the syrian Trade of the Twelfth Century. "the quarterly Journal of Economics) Vol. xxxl, 1916- 1917.

-Dozy (R.) ; Histoire des Musulmane d'Espagne, Threevols. leyde,1932.

-Gaspar (R.) ; Historia de Murcia Masulmana, Zaragoza, 1903

-Gélérier.(j.) ; "I" Atlas et la Circulation au Maroc, Hespéris, Tome, II, 1927.

-Julien (A.) ; Histoire de L'Afrique du nord de la Conquete arabe a' 1830, Paris, 1952.

-Marcais (G.) ; La Barbérie Musulmane et L'orient au moyen - âge, Paris 1947.

-Miranda (A.H.) ; La Toma de salé Par la escuadra de Alfonso x nuevo datos, R. Hespéris, année, 1952.

-.................... ; La invasion de los Almoravidesy la batalla de Zalaco, Hespéris, tome xl, Paris, Anné, 1953.

-.................... ; Historia Politico de L'imprio Almohade, Tetuan, Vol I, 1956.

-Simonet ; Histoire de los Mozorabes de Espâna, Madrid, 1897.

-Terrasse ; les Portes del' arsenal de salé, Hespéris, tome, II, année, 1922.

فهرس المحتويـــات

الصفحـــة

- التاريخ السياسى لمدينة سلا	٣-٥٩
- سلا من الفتح الاسلامى حتى عهد المرابطين	٣-١١
- سلا فى عصر المرابطين	١٢-١٥
- سلا فى عصر الموحدين	١٦-٤٠
- سلا فى عهد بنى مرين	٤١-٥٩
- بعض مظاهر الحضارة بمدينة سلا	٦٠-٨٢
أولا: الحياة الاقتصادية	٦١-٦٥
أ- الزراعة	٦١
ب- الصناعة	٦٢
جـ- التجارة	٦٣
ء- صيد الأسماك	٦٤
ثانياً: المنشآت المعمارية	٦٦-٧٨
١- المنشآت الدينية	٦٦
٢- المنشآت المدنية	٧٠
٣- المنشآت العسكرية	٧٥
ثالثاً: الاحتفالات والمناسبات العامة	٧٨-٧٩
رابعاً: الحياة الفكرية	٧٩-٨٢
- مصادر ومراجع البحث	٨٣-

غلاف
مطبعة الانتصار
ELENTSAR PRESS
١٠ شارع الوردى . كوم الدكة . ت ٤٩١٦٥٩٧ اسكندرية